تاريخ نجد في عصور العامية

٥

ديوان الشعر العامي بلهجة اهل نجد

تأليف: أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري



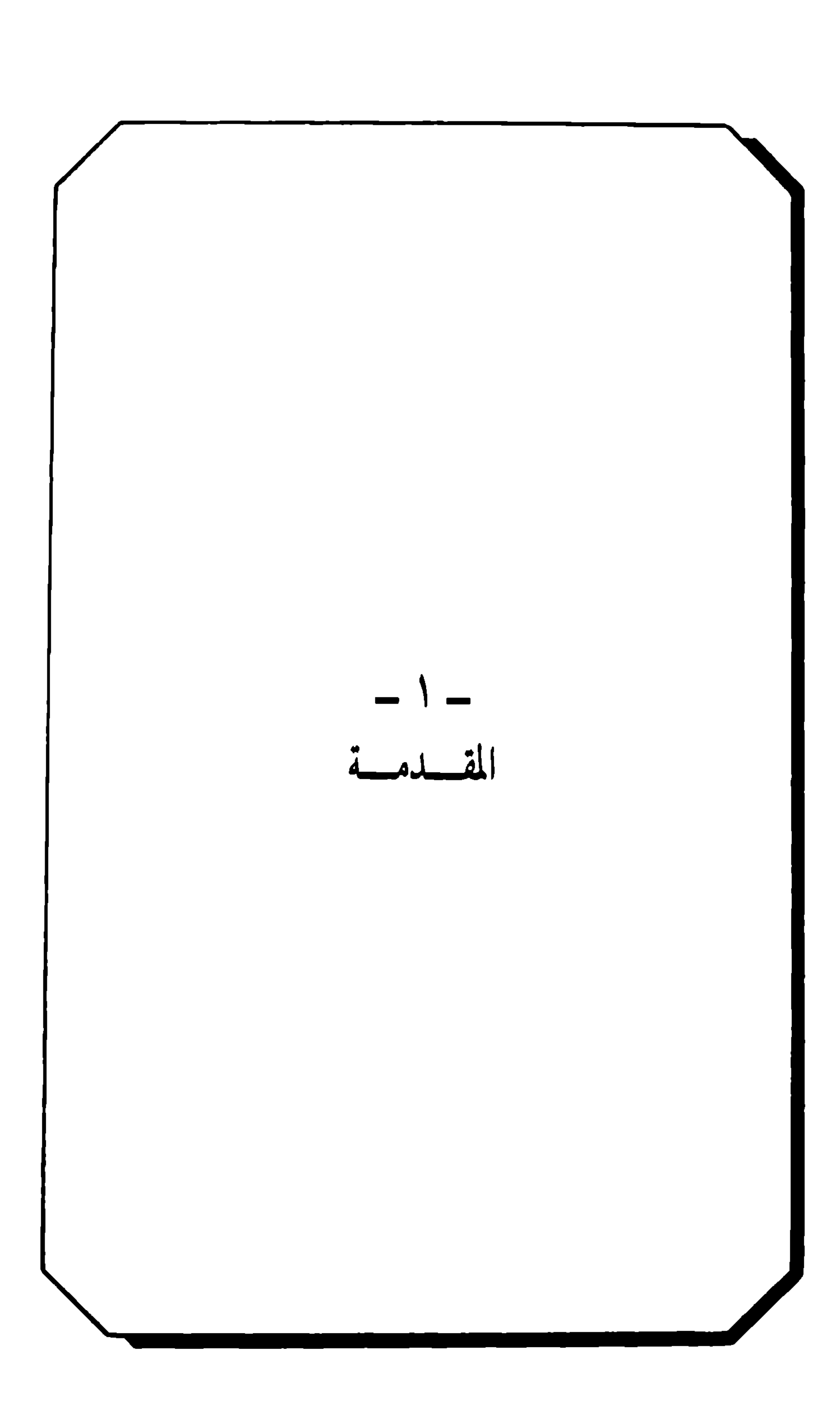
للطباعة والنشر

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

ص. ب. : ١٠٥٠
هاتف: ٤٧٧٧١٢١ ـ ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

الطبعـة الأولى
١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

فهـرس إجمـالي



- ١ -
المقــدمــة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فهذا هو السفر الخامس من موسوعتي (ديـوان الشعر العامي) وسأستمر إن شاء الله في تدوين ما وصل إلي مما لم يدون من هذا الشعر مع إعادة ضبط وتخريج ما دون.

وربما راوحت في المنهج فجعلت سفراً عن شعراء الواحدة، وسفراً عن ظاهرة أدبية كبكاء الحليلة أو وصف الأنواء.. الخ.

وسفراً عن مختارات من الشعر العامي مع الاستمرار في هذه المراوحة على منهجي السابق وهو إفراد كل سفر بشاعر أو عدة شعراء.

وفي جميع أنحاء هذه الاتجاهات فلن يكون للتكرار مجال إن شاء الله في هذا الكتاب وإنما سأكتفي بالإحالة إلا في حالات يضطرني منهج البحث فيها إلى التنصيص.

وسأستمر بحول الله على استدراك كل ما يفوتني بآخر كل سفر، كما سأستمر على التقديم لكل سفر عن ظاهرة من البيئة العامية والأدب العامي والفنون الشعبية.

وبعد استكمالي لجميع أسفار الكتاب ربما سنحت الفرصة لزيادة من التنقيح بحيث أوحد مقدمات الأسفار في أسفار مستقلة منسقة، وأضع كل مستدرك في مكانه من الكتاب وأرتب الشعراء برابطة معينة إما بالحروف

الأبجدية أو حسب القبائل والبلدان أو حسب الخصائص أو حسب الترتيب الزمني مع طموحي إلى استخراج معجم بعامية أهل نجد مع فهارس فنية بالأعلام والأمكنة واللغة والموضوعات والمعارف والإضافات التاريخية.

ولقد مرت مقدمات الأسفار الأربعة ولم أتناول فيهن شيئاً من أمور البيئة إلا ما ورد بالسفر الرابع عن بعض مصطلحات السلم والحرب، وإنما أرجأت أمور البيئة لأنني رهنت كتابي (هموم عربية) أحد أسفار كتابي (الفنون الصغرى) لشرح هذه الظاهرة.

وسأتناول إن شاء الله في أسفار ديوان الشعر العامي لمحات عن البيئة لم أتناولها في كتابي هموم عربية.

فمن تلك الظاهرات البيئية أن العامة لشدة عوزهم لا يكادون يجدون الكبريت ولهذا يجتمع الحضر في القرى والمدن صباحاً عند بيت الحداد ليقتبسوا من ناره بقطع يابسة من روث الماشية أو بسعف أو بخشب أو فحم.

ومن تلك الظاهرات (مشب الجماعة) فلا يكاد كل واحد يملك أدوات صنع القهوة من دلال وهاون ومحماس.. الخ.

فكان للجماعة في القرية مكان مكتمل الأواني يجتمعون فيه ويحمل كل واحد بالتناوب مادة القهوة معه من بن وهيل وسكر.. الخ.

وأحياناً يقوم بيت الأمير أو الشيخ أو الوجيه مقام مشب الجماعة فكان كل واحد من قحطان ــ على سبيل المثال ــ يفد على الشيخ ابن هادي ومعه قهوته ليكرم بها السمار وكان قائلهم يقول: زقف المبرد يا ابن هادي!!.

أي ناولني المبرد لأضع فيه القهوة، والمبرد إناء منسوج من الخوص تبرد فيه القهوة وتنقى بعد حمسها.

وقد صار الحاضرة ينكتون بهذه الجملة وينطقونها هكذا: (زق ف المبرد).

ومن مكملات الأنس مع القهوة الدخان لا سيما عند البادية وزعمائهم والدخان شحيح عندهم فكان هناك محتكرون يدخرونه وكان الفنجان من الدخان يباع بكسبة.

والكسبة ناقة يغنمونها في الإغارات فيعطونها بائع الفنجان، وهم يستهلوكو الفنجان في جلسة واحدة.

وكان الحميدي نزل بإحدى القرى فنفذ دخانه حتى أحرج أهل القرية فجلبوه له من المدينة بأغلى الأثمان فلما رأوا تطاير الدخان من أنفه قالوا: صم خشمك يا الدويش فليس كل لحظة عندنا فنجان!.

وربما احتكروه للضيف رغم حاجتهم إليه.

وربما احتكرته النساء فقد قرأت في كراسات الشيخ منديل[1] أن الشرب اجتمعوا في بيت شيخهم وليس معهم دخان ولا يوجد عندهم في الحي.

فقالت بنت الشيخ: عندي دخان لم أدخره لطمع وإنما أدخرته لمن قال بيتين يصيب فيهما ما أهدف إليه في نفسي.

فقال أحدهم:

ياما حلا كيف النشامى وانـاسه	مع جادل مصيون ضافي لباسه[2]
الجادل اللي كن عجات راسـه	مسك يجينا مع ردود الحجيج[3]

(١) سترد الأبيات في نص الدجيلي، وقد نشر بعضها بمجلة الفن الكويتية عدد ٢٧٢ في ١٣٩٧/٣/٢٣هـ.

(٢) في مجلة الفن: ما قيل تظهر حساسه.

(٣) في المجلة: المسك والريحان يجدع براسه.

وقال الثاني:

ياما حلا كيف النشامى وفنجال ومقابلك من تلع الارقاب مكسال[٤]

من قبل ما ياتيك قصاف الاجال مفاجات من لا باول العمر فيجي[٥]

وقال الثالث:

يا ما حلا كيف النشامى بغليون وصفرا نهار الكون الى جوا يعنون[٦]

وانا عليها بين طاعن ومطعون اقصر رسنها عن توالي الهجيج[٧]

وقال الرابع:

ودك تسوي حومة الطير فنجال لعاد مالك حاجة تلتهي به[٨]

اخير من ربع بخال على المال مال بلا معروف لوزاد خيبة

ياعنك لو تجمع طوابير واموال مال وراه البيت ما ينشفي به

وقال الخامس:

ودك توافي وقفة الظل رجال ياما حلا جمع الحبيب لحبيبه

اليا فرش لك باوسط البيت بظلال والكل منهم مشفي عقب غيبة

وقال السادس:

ودك ادني طلعة الشمس مشوال لاجوا على الحروة وواق الرقبة

جونا السبور وظهروا له هل المال واهل الرمك بين رداها وطيبة

---

(٤) في المجلة: مع تلع.

(٥) في المجلة: الله على من قبل قصاف.

فيجي: فوجيء.

(٦) في المجلة: بن يعملون. ولعله تطبيع.

(٧) في المجلة: عند تالي.

(٨) حومة الطير: آخر الضحى حيث يحلق ويحوم لأن الجو أبرد له.

اخيـر عندي من مـوافاة رجـال لا نشـرت فوق المنـاكب سبيبه

فكان الدخان من نصيب الأخير لأن أمنيته الشجاعة لا النساء.

ومن الأعراف اللغوية عند البادية ما حدثني به الشيخ منديل الفهيد أن البادية تعبر بثلاثة ألفاظ عن ثلاثة من الرجال هي:

١ ـ اللاحق وهو من تبع طريق أهله وفعل فعلهم.
أي لم يتفوق عليهم ولم يقصر عنهم كعقاب بن شبنان بن حميد.
وربما زاد عليهم كمحمد بن هندي.

٢ ـ السابق، وهو العصامي الذي سود نفسه بنفسه كشليويح العطاوي ولافي بن معلث.

٣ ـ ما حق وهو من قصر عن فعل أهله.
وأرفع ملاذ الحياة عندهم السمر والقهوة.

قال أحمد الشرابـي:

والبيت بانينه على شان هرجـة وفنجـال بين اضيافنـا والـربـوع

ومما تلهج به العامة الكرم مع الفقر والاكتفاء بالقليل وتحمل الدين لبذل المال في حقوقه الاجتماعية.

وعلى هذا شواهد كثيرة منها قول علي بن محمد السليماني من أهل القرائن يخاطب امرأة تمنت رؤيته فلما عاينت مظهره زهدت فيه:

يـا بنت مـالي عنـدكم قـابليـة ولا نيب من يعشق الى جامع السوق
انا متى ما النـذل يبست شفيه واستسهل الخايب ذرا كل طاروق
عندي لذر بين الشـوارب تحية وسلام احلا من لبن عطف النوق
ان حشت شي فـرقنـه يـديـه والى عسرنا النقد ناخذ بمفهوق

وقال ابن ونيان من أهالي فيضة السر[٩]:

يـا الله يا اللي سـايله ما يمله   يا مظهر العشب الخضر بالرشاش
تفـرج لمن كنه على صلو ملة   متحير قلت عليه المـواشي[١٠]
لا ضاق صدري جبت نجر ودلة   وسويت ما يبـرد لهيب بجاشي
بكـر على بكـر مصفـا نـزلـه   كنه خضاب معورجات النقـاش
تعبـا لضيف عـاني من محله   وقولة هلا مع ضحكة بانبهاش
مـريمـانيـة وهـيـل نـزلـه   ومـر على الشامية أم الغشاش
مـر هشيم ومـر نـوقـد بجلة   ومـر نبهـرهـا ومـر بـلاشي
ومعبـريـن كـل وقت بـحـله   نصبر على ما كاد والرزق ماشي
يوم ان ولد اللاش همه بـظله   كنه على درب المراجل يهاش

وقال الشيخ مقبل بن هريس يخاطب شاعراً من جماعته الشلاوى وهي مما وجدته بكراسات الشيخ منديل:

متى طلعتوا يا طوال العناجيـل   مثل السليمى رميها عند اثمها[١١]
مـر نبهـرهـا بجـوز من الهيـل   ومـر نخلي طبخها من عـدمها

وقال ذعار بن مشاري بن ربيعان:

ذا لي ثلاث سنين من ضيق في ضيق   وقت الهـلالي والطعـام معـدوم
نمسي على الخمرة ونصبح على الريق   ونهـوش دون وجيهنـا بـالعـزوم

---

(٩) نشرها الأحيدب في التحفة ص ١٢٧ وحدثني بها ثقة من أهل الدوادمي.
(١٠) أحفظ هذا الشطر هكذا:
متحـير مـا شـاف عنـده مهـاش
(١١) العناجيل: جمع عنجول وهو الغليون.

وقال محمد الخرشد العنزي يمتدح أهـالي أبا الـدودد بالأسيـاح وما شاهده من كرمهم واحتفائهم بالجار، وهي مما سمعته من إبراهيم اليوسف ونقلته من كراسات الشيخ منديل:

وجدي على اللي كل يوم جديدين	من دونهم حـالت نفود الـزبيرة
اخوان شما حـزة العسر واللين	سكـان ابا دود قصيـره حشيـره
ان جاهم الخاطر تقول متواصين	كل على الثاني يبتـه بجيرة[١٢]
يقلطون الحيـل فوق المـواعين	اهل الندا لاجت سنين عسيـرة
ياما نصـاهم من ضيوف مقلين	لاجت ليال الصيف من كل ديرة
بزروعهم كن الضعافى خشيرين	هذي لهم من بنية القصر سيرة
لاكمل الماجـود جابـوه بالـدين	دون الـوجيـه يـدورون الستيـرة

وقال أمير بقعاء السابق عبيد الأسعدي كما في كراسات الشيخ منديل عن فقر مر بهم فكانوا يخفون الطعام عن عيالهم مدخرينه للضيف الذي لا يعذرهم وفي ذات يوم كان عنده ضيوف ولهم مدة عن الطعام فوضع للضيوف ما ادخره من طعام وهو عيش بدون لحم فسمع رجلاً من جماعته يقول هذا من عين ما فقال هذه الأبيات يعتذر ويبين حالته:

عشرين ليلة ما هوى كبدي الزاد	والله ما اخبر داهج كبدي العيش
دنيا نجاهـدها من القـل بجهاد	نهوش دون وجيهنا هوي بالهوش
نتبع سلوم اجدادنا سلم الاجواد	غيرالصخاندري سوالف هل الجيش

أما العقوق والبر فقد ألف أبو عبيدة كتاباً مطبوعاً عن العققة والبربرة وذكر نماذج كثيرة كلامية أمية بن أبـي الصلت المشهورة.

(١٢) يبته: يحلف بالطلاق على الضيف كي ينزل عنده.

والنماذج للعقوق كثيرة في الأدب الفصيح ولم يمر بي في العقوق سوى عتاب جحيش السرحاني لحفيده، وقد أوردت قصيدته في أحد أسفار هذا الكتاب.

وسمعت من أشياخنا العوام أن أحد البادية المتحضرين بشقراء كان يرمي والده بالحجر فإذا انحرف الأب عن الحجر قال الولد:

ول عود ما أروغك؟!

قال أبوعبدالرحمن: نعوذ بالله من الخذلان.

وهناك قصيدة لابن جعيثن نظمها على لسان أم تخاطب ابنها العاق.

قال ابن جعيثن:

لفاني كتابك يا سراج نظير	عيني والدمع عليه نثير
لفاني وقبلته على الراس حشمة	وبشرت من لي صاحب وعشير
كنه قميص ليوسف يوم جابه	لابوه من بعد الفراق بشير
يوم جابه البشير وشمه	فتح وهو من قبل كان ضرير
خيار ما به كلمة سرني بها	بقوله حق الوالدين كبير
عساك تذكر حقهم لا عدمتك	ويجعل خيرك ما يزال كثير
حملتك تسعة أشهر في شواكلي	والبطن مني ماقع وجفير
حملتك في كره وكره وضعتك	او وسعت لك حضني وصار سرير
وارضعتك حولين من در مهجتي	وارعاك رعي عن طريق خطير
ابيك لعازات الليالي ذخيرة	ما ابيك تشفع لي بيوم كبير
يوم بلغت الرشد وابصرت نفسك	وقدري غدا عند الرجال حقير
قلطت بنت الناس وانا نسيتني	وحطيت فوقي بالولات حقير
خف الله ما قبلك حد بعدامه	وقلط بنت الناس كيف يصير؟

خف الله ودع عنك ما مضى ... ولا تامن الدنيا مداه قصير
خف الله واذكر آيتين نسيتهن ... وهن فيهن للبصير نذير
ما قال الله لا تقل لهما اف ... واجعل لهم منك الولات يسير
واخفض لهم جناح الذل منك ... وقل رب ارحمهما كما ربياني صغير
خف الله واذكر حفرة مدلهمة ... يحاسبك فيها منكر ونكير
تراك لما غثيتني واغضبت خاطري ... دعيت بلساني عليك كثير
ما هوب بغض ولكن شرهة ... عليك والوالد عناه كبير
تراك لو حجيت بي فوق راسك ... ثمانين حجة ما بلغت عشير
ولا يجازيني من الطلق ساعة ... الى قام قلبي من حشاي يطير
وصدري يهذب بالحديد لكنه ... يهذب بسيف من الحديد طرير
ولا عاد في بطني ولا عاد في ظهري ... ولا ظني ارجيه يعود صغير
الا انت واخوك بزر جاهل ... ولابه من امور الرجال بصير
ميراني راجيته يحظى بكبرتي ... واذوق نفعه قبل ازور حفير
وارجي الذي وداك يرجعك سالم ... علي فان الله عليه قدير
ويرزقك رزق واسع ما حسبته ... وترد يا ابني والعدو حقير
وصلوا على سيد البرايا محمد ... ما لاح براق وما حفر بير[١٣]

على أنه روي عن البدو أنهم يتركون المجدور والمسن في المكان الذي يرحلون عنه ويتركون عنده شيئاً من الزاد، ولهذا تجد في تشبيهات الحضر قولهم: فلان عود بدو طاح في المراح.

قال عبدالجبار الراوي:

وينقل أن رئيساً من رؤساء العرب ابتلي بالجدري فترك وحده مع كلبه ورحل عنه أهله فخاطب كلبه واسمه شير بقوله:

---

(١٣) الأزهار النادية ٨/٨٨ ـ ٩٠.

هلك شالوا على مكحول يا شير وخلوا لك عظام الحيد يا شير
لا تبكي بكل الدمع يا شير هلك شالوا على حمص وحماة[١٤]

وقال عبيد بن حمود الأسعدي عندما طعن في السن يعتب على أولاده:

لا والله اللي دوبحن الليالي واقفن بشيمات العرب والمرواة
اقفن ولا خلن للاجواد تالي الاذنانة واحد وين ابا القاه
داست صناديد العرب بالنعال وطتهم الدنيا والايام عدلاة
العود عند الناس ماله جلال العفن صارت كبر ابانات علباه
يمشي بلا رفق كثير الحلال ويثار عن وجهه وتسمع حكاياه
هذا زمان فيه قطع العقال الرحم هو والجار ما عاد له جاه
والوالد اللي حشمته والجلال فرض رخص عند اكثر الناس طرياه
قاله نبي الله صدوق المقال في تالي الدنيا لكع طال مبناه
يا العود لا تسعى لجمع الحلال لا صار عند الكبر تسفه حكاياه
لعل من يرث حلال لتالي لا يلحق الاول ولا يلحق اتلاه
يشرب قراطيع من الشري قالي حفنات مكروه صباحه وممساه
العود يوم انه يجيب العيال يبغي بتالي العمر سجة وطرباة
كبر الولد دلى يلم الحلال طاع المرة والعود له سبع كوباة
تمت وصلوا عد وبل الخيال على نبي عز للدين راياة[١٥]

ومن البررة شاب شكى له والده سوء معاملة زوجتيه له، وكان للابن زوجتان.

---

(١٤) البادية ص ٣٢٧.

(١٥) من آدابنا الشعبية ١٤٢/١ ــ ١٤٣ ونشر منها لويحان في روائعه ص ١٧٣ خمسة أبيات.

قال الأب:

الا يا ولدي وان غبت جفني خبيثات نقاضات عهد الوثايق
اريتك بعد زدت المواطي بثالث وادبحت كني في قليب موايق
ابيك توصا بي بحي يروف بي حفي الى ما يلحق العمر عايق

فأجابه الولد بهذه الأبيات:

علامك كفيت النار ضيقت خاطري بقولك كني في قليب موايق
ما دمت حي لك على راس مرقب طويل الذرى عسر على كل وايق
دينتني دين وانا ميسر به وكل فتى ما يوفي الدين بايق

فعند ذلك طلق نساءه وتزوج غيرهن وذلك إكراماً لوالده[١٦].

ومن البررة المشهورين ذيب بن شالح بن هدلان.

ومن البررة الجليف وله قصيدة مشهورة في التحرق على والدته عندما خرجت من بيته إلى بيت أخيه الصغير.

ومما ورد في البر قول شاب أرادت منه خطيبته أن يخرج عن بيت والدته فقال[١٧]:

ما تشوف مسلوب الحشا مرسل لي رسالة تجعلني اصخر بفرقاه[١٨]
ان كان ما صيد الحبيب تغل ما اقبلك يا المرسول لا انت ولا اياه
امي الى شافت خيالي تهلي والا الغضي لا شاف غيري تحلاه[١٩]

---

(١٦) روائع من الشعر النبطي ص ١٧٤.

(١٧) نشرها الراوي في البادية ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ وسمعتها من الشيخ منديل.

(١٨) عند منديل: علمت مسلوب.

وعند الراوي: مرسال من الترف تسخي بفرقاه.

(١٩) عند الراوي: امي لو شافت.. وانقز على المتنين واقول يااياه.

ما انسى سنين ديدها سقمة لي	اركب على المتنين واقول ياياه[٢٠]
دون السنة وبطنها حجرة لي	البرد ما اشوفه والحر ما ادناه
امي وابويه مالهم غير ظلي	ومن دور الظل يا ترف يلقاه[٢١]
الوالدين لهم بقلبي محل	معروفهم مع طول الايام ما انساه

ومع إيمان شيخنا حمد الجاسر بجدوى الشعر العامي في الدراسات اللغوية والتاريخية والبلدانية فقد سمعت منه كثيراً أنه لا يرتاح إلى دلالته على لهجة القبائل لتغير ألفاظه في أداء الرواة، ولتدخل بعض الرواة في تغيير اللفظ تعمداً مع بعض الإضافة إليه. وحيال هذا أطرح بعض الملامح:

أولها: الشعر العامي صنو الفصيح في تغير اللفظ عند الأداء إما للنسيان أو للتعمد وهذا نادر.

لكن هذا لا يعني إلغاء دلالته، وإنما يعني الجد في تمحيصه بالاستكثار من روايته بألفاظ مختلفة ثم يرد إلى ما عرف من لهجة الشاعر ويرجح بما رواه الجمهور ويرجح بضبط الراوي وثقته، ويرجح برواية جماعة الشاعر من أقاربه وقبيلته وأهل بلدته.

والشعر وسيلة لتسجيل اللهجات للخلف وليس وسيلة لتحريها من كلام السلف، لأن اللهجات العامية لا تزال ماثلة.

وإذا فخبرة الدارس بلهجات القبائل والقرى أداة علمية بيده يستعملها في الترجيح بين الروايات[٢٢].

---

(٢٠) عند الراوي: وثلاث سنين وديدها غدوة لي.. وكم ليلة همي عن الزاد قزاه.

(٢١) هذه رواية الراوي ويستقيم الوزن لو قال:

واللي يبي يا الترف يلقاه

(٢٢) للشيخ عبدالله بن خميس لمحة موجزة عن اللهجات بمجلة العرب س ١١ ص ٦٤١ ـ ٦٤٩

وثانيها: أن ضرورة الوزن والقافية تحتم أحياناً إثبات اللهجة وتحتم أحياناً الخروج عنها.

فمن الأول قول شليويح العطاوي:

يـا عنك مـاردوا جزانـا عـلانـا	ف ابقار يوم ان البريهي يسريه
ما شفت علوى يوم جوافي نحانا	كن الدبـى مركيهم يـوم احليه
تـنشـرن دمـيـهـم مـن يـدانـا	والطير ابو جنحان منهم نعشيه

فمن اليسير على الراوي الحضري أن يروي الشطر الأول هكذا: علينا.. يدينا.

ولكن بقية الأبيات لا تساعده على هذا التغيير كقافية (نحانا) فبقيت لهجة عتيبة في هذا الموضع مصونة بضرورة الرواية لا باحتمالها ومن الثاني قول العوني وهو قصيمي:

خلوج تجذ القلب باتلى عواها... إلخ.

فليست هذه لهجة أهل القصيم[٢٣] ولكنها ضرورة القافية.

وبهذا تعلم أن اختلاف اللهجة ليس من عمل الراوي دائمًا.

وثالثها: أن التغيير في الألفاظ وارد وقد قلت إنه يمكن معرفة ما قاله الشاعر بنصه يقيناً أو رجحاناً استئناساً برواية الأكبر أو الأوثق أو الأحرى مع مرجحات الوزن والقافية.

وكذلك التغيير المتعمد والحذف والإضافة يحصل تعمداً ولكن لأسباب معروفة والرواية الصحيحة باقية عند الخاصة كقصيدة حميدان الشويعر في هجاء بعض أهالي القرى يطمرها بعض الرواة في المحافل.

---

(٢٣) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٤ وبلاد القصيم ١/ ٨٢.

وكذلك بعض الناشرين وبعضهم يترك مكانها بياضاً، وبعضهم يروي الهجاء مديحاً لأجل ما أدخله الرواة من تغيير، ولكن الرواية الصحيحة محفوظة متداولة.

ومثل ذلك القصائد التي تتناول هجاء أمير أو حاكم أو قبيلة.

ومن ها هنا أعرج على قضية الانتحال والتوثيق التاريخي فأقول بإمكان أي شاعر عامي اليوم أن يقول قصيدة ينحلها شاعراً كراكان بن حثلين أو العوني ولكن من المستحيل أن يخفى انتحالها، لأننا الآن لسنا في دور تصيد رواية عزيزة نادرة وإنما نحن في دور تدين رواية مشهورة فمن المستحيل أن ينسب لعبدالرحمن البواردي ما لا يعرفه أهل شقراء أو ينسب لتركي بن حميد ما لا يعرفه أهل عالية نجد بادية وحاضرة.

نعم يمكن أن ينسب لابن سبيل ما هو للمجماج، أو أن ينسب لضيف‌الله بن حميد ما هو لابن عمه عباس بن علوش، أو أن ينسب للصغير ما هو للسعدي.. إلخ.

إلا أن تداخل الرواية غير انتحالها.

ولست أعرف في الشعر العامي المنسوب لقائل معين ما اشتبه في صحته وهجس في الخاطر انتحاله.

وشعراء العامية اليوم كثيرون، وسوق الشعر العامي رائجة ولكن لا يستطيع واحد أن يطبع قصيدة واحدة يصنعها وينحلّها غيره من القدماء وإن كان مع شاعريته من خاصة الرواة لأن هذا الشعر ثقافة مشتركة، ومن لا يحفظ القصيدة يحفظ شيئاً منها أو يتذكر معانيها أو مناسبتها، ولكن من المحال أن يكون ما عند الواحد مما لا يعرفه أحد.

وإذا كان الشاعر يشح بتنحيل شعره غيره يوم كان الأدب العامي هو الأدب الرسمي فإن السوق الرائجة اليوم للشعر العامي القديم دون

المعاصر، وتكثر الراوية الشاعر بالشعر المنتحل أربح له، ولكنه لا يستطيع ذلك، لأن ما سيدونه ويرويه إن كان صحيحاً فهو معروف والرواية لا تزال مائلة والراوي الآن لا يقوى على رواية قصيدة لا يرويها غيره مع أن الرواة لم ينقطعوا بعد.

وعند العامة قصص تسمى (سباحينا) وفي عقيدتهم أن القصيدة لا تصح إلا إذا توجت بقصيدة ولهذا يرد في السباحين أبيات لا يعلم قائلها منها ما هو من الشعر العامي القديم الذي لم يعرف قائله ومنها ما هو منتحل إلا أن هذا ليس مجال شك عند الرواة.

أما ما نسب لقائل معين فمن المحال أن يكون منتحلاً ولا يخفى، ولهذا كان المنتحل لا ينسب لقائل.

ولا أعرف شعراً منتحلاً نسب إلى قائل غير معين سوى حوار كاد ينطلي على المتأخرين لأن صانعه الشاعر المبدع عبدالله اللويحان.

قال متع الله به:

ومما قاله شاعر من شعراء سليم وهو صغير السن واسمه مسلم، وكان يروح مع جارته يرعون في البر أغنامهم وكان هناك رجل يدعى مضحي يجبهم وقت العشاء للتحدث مع محبوبته المذكورة، ومسلم أنكر منه كثر مجيئه لمكانهم والجلوس معهم فلما انضجع مسلم كأنه من النوام قالت المرأة يا مضحي قم شف القذات التي بعيني فقال: نخشى من النوام قالت تعال ولا توان، فأرخت اللثام فقبلها تقبيلاً تاماً في جنح الظلام فرآه ذلك الشاب الهمام وقال في الغد الباكر عند حلقة اللعب والمراد هذه القصيدة:

قال مسلم :

الله يعافيك يا مضحي وفي شوفك يقديك

يا اللي تشوف القذاة اللاجية بالخرمسية[٢٤]

وراك ما خفت مني يوم انا قاعد وراعيك

تشرب على عقلة قدام تاردها زكية

قـــال مضحي :

ياورع سدي معك لياك تخمل في ابن اخيك

مثلك الى شاف درب الخاملة يستر عليه

انا ولد عمك الداني واعادي من يعاديك

وش خانة اللابة اللي ما يجي فيهم حمية

قـــال مسلم :

أدمح لك اللي مضى واللي بقى مانيب واقيك

لا يا من الصايبة من شد حد النافعية

قـــال مضحي :

الى دمحت الذي فايت فانا مانيب خاشيك

الستر عند الذي يمن خوي من خويه[٢٥]

قال أبو عبدالرحمن: قبل أن ينشر لويحان هذه القصيدة بسنين سمعتها من والدي عمر رحمه الله وروى لي عن لويحان نفسه أنه وضع هذه الأبيات على لسان أحد بني سليم، وكان الوالد صديقاً للويحان بالجبيل منذ خمسين سنة وكان قاضي البلد الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي، وكان

---

(٢٤) الخرسية: شدة الظلام من الليل.

(٢٥) روائع من الشعر النبطي ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

يجتمع عند الوالد عدد من الشعراء كشرفان البواردي ولويحان وقد أكد لي ما أخبرني به الوالد عدد من الأشياخ بشقراء.

وإذا أردت أن أستعير من مصطلح الحديث قلت إن في لحظتنا الراهنة شعراً من خبر الآحاد لا يرويه غير ابن يحيى كهمزية حميدان الشويعر ونونية العليمي . . . إلخ.

ولكن هذا الخبر حاصل به العلم القطعي، لأن ابن يحيى ثقة، ولأنه لا يحسن نظم الشعر، ولأن ما عنده مدون، ولأن روايته معلومة عن الشاعر الكبير ابن جعيثن وهو من كبار الرواة، ولأن هذه القصيدة مما سمعناه على أشياخنا وعجائزنا ولم ندونه، فلما دونه صار مدار الإسناد عليه وقد طبع هذا الشعر قديماً رواية عنه.

إن الانتحال يقيني في شعر السباحين، وهو محتمل فيما لا ينسب لقائل معين، وهو شبه يقيني فيما ينسب لبني هلال بلهجة أهـل نجد الصرفة.

* * *

ومن جدوى الشعر العامي إيضاحه لتعبيرات لغوية ولهجات عربية قديمة(٢٦).

قال أبو عبدالرحمن: هذه حقيقة تكفلت بها عنايتي بشرح هذا الشعر فليتلقط هذه الظاهرة منه من أراد، ولكنني أذكر أنموذجاً لذلك نصاً وجدته في نوادر الهجري وهو قوله:

(والبدون مسان الأروى يحك قرنيه بأصل الساق) وقد جزمت في مشاركتي لشيخي حمد الجاسر تحقيق النوادر بأن الهجري صحف في قراءته فظن أنها من السن ــ بفتح السين ــ مع أنها من السن بكسر السين.

---

(٢٦) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٥.

إذن البدون هو الوعل نفسه وليس هو ما يحك عليه قرنه.

وهذا الاسم باق في شعر البادية حتى اليوم وله نماذج كثيرة.

ومن تتبع شرحي لهذا الشعر رأى أن الجمهرة من لغته توسيع للفصحي بالمجاز اللغوي والأدبي.

* * *

أما جدوى نشر هذا الشعر والاحتفاء به فقد ألمحت لذلك في مقدمتي للجزء الثاني من ديوان ابن صقيه وفي مقدمتي للسفر الأول من ديوان الشعر العامي.

وحسبي ها هنا أن أسوق فصولاً من نصوص المعركة حول هذا الشعر ما بين محسر ومقصر ومعتدل مع تعليقات طفيفة.

قال الشيخ حمد الجاسر:

عنيت الشعوب والأمم بالحفاظ على تراثها القديم من جميع نواحيه، لأنها رأت فيه ما يهيىء للباحثين معرفة كثير من الجوانب المتعلقة بماضي الأمة أو الشعوب من أخلاق وعادات وتقاليد، وعلى أساس هذه الأمور يقوم كيان الأمة أو الشعب.

وفي الآونة الأخيرة اتجهت الدراسات العربية إلى تراث العرب، اتجاهاً حمل كل قطر أو أمة على العناية بما يخصها من ذلك التراث، غير أن بعض العلماء والباحثين وقفوا حيال ذلك وقفة المستريب، فبعضهم يرى أن العناية بدراسة بعض نواحي هذا التراث وخاصة اللهجات المحلية كان الحافز لها أمراً ليس من صالح الأمة، بل إحياءاً لنعرات وعادات مختلفة، قصد من ورائها إيقاع الاختلاف، وإيجاد الوسائل التي تضعف كيانها، وتوقع الفرقة بين أجزائها فهذا أحد الباحثين عندما قرأ مجموعة من الشعر العامي النجدي كتب يقول:

(لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب!!).

وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته[٢٧] (وبعد فلا بد لمن يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر لأنه صورة صادقة على ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي).

لا والله ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنه أدب التدهور وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل الغث للفخر. فما أجد فيه إلا فضيلة واحدة: العلم به للحذر منه!.

إنه أدب العامة، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر، ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب[٢٨].

بينما نرى باحثاً آخر أطول باعاً في الأدب يرى في هذا الشعر من الأصالة والمعاني ما يحمله على تفضيله على الشعر العربي الفصيح في هذا القطر[٢٩].

وللعلامة ابن خلدون رأي يحسن إيراده، قال في الكلام على شعر العرب في عهده: (ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك، والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد، وخصوصاً علم اللسان، يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمج نظمهم إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها.

---

(٢٧) يعني ابن رداس. ابن عقيل.

(٢٨) الدكتور منير العجلاني: «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ج ٢ م ٢٨ ص ٣٠٢ حمد.

(٢٩) الدكتور طه حسين في بحثه الممتع (الحياة الأدبية في جزيرة العرب). حمد.

قال أبو عبدالرحمن: هذا صحيح فنظم الفقهاء من شعراء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لا يصل مستواه الفني إلى ذروة شعر الفحول من العاميين.

وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليمًا من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الموجود فيه، سواء كان الرفع دالاً على الفاعل، والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس. وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام، كما هو في لغتهم هذه. فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة. فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر، صحت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة. ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك. وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه، ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلمات لا بحركات الإعراب)[٣٠]. ا.هـ.

وإذا نظرنا إلى أن الأمة أصبحت تحل أقطاراً غير مهدها الأصلي وكانت تلك الأقطار يسكنها شعوب ليست عربية، لها تقاليدها وعاداتها ولغتها التي تختلف في كل شيء عن الأمة العربية، وأن العرب بعد أن سكنوا تلك الأقطار، قضوا على ما لسكانها القدماء مما لا يتفق مع ما للأمة العربية الإسلامية من تقاليد وعادات، أما في مهد العرب الأصلي، الذي هو جزيرة العرب، فإن جميع ما فيه من تراث هو عربي قح خالص بخلاف ما في الأقطار الأخرى، ولهذا فإن التراث الشعبي في بلاد العرب الأصلي يختلف عن تراث الشعوب التي ورثها العرب في الأقطار التي استولوا عليها وسكنوها، وأصبحت تعرف بهم، وعلى أساس هذا الاختلاف ينشأ الاختلاف في التراث الشعبي، فهو في مهد العرب جزء من حياتهم قديمه وحديثه، والعناية به عناية بتاريخ العرب أنفسهم ولهذا فإن القول بعدم جدواه، قول لا يقوم على أساس.

---

(٣٠) مقدمة ابن خلدون. حمد.

أما دراسة تراث الأقطار الأخرى الموروث الكثير منه عن أمم وشعوب بعيدة كل البعد عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، فلا شك أن في إحيائه إضعافاً لتراث العرب الأصيل، وهذا ما يجب أن يحذر منه، بل يجب أن يقضى عليه، إذ في القضاء عليه تقوية للروابط بين الأمة العربية في مختلف أقطارها، كما أن في العناية بدراسة التراث الأصيل في مهده من إبراز مميزات الأمة العربية، والإبانة عن جوانب شتى من حياتها في الحاضر والماضي ما لا يستغني عنه كل من يعنى بدراسة الجوانب الثقافية، والاجتماعية واللغوية والتاريخية لهذه الأمة.

فالشعر العامي في الجزيرة هو الشعر العربي القديم باختلاف في طريقة التعبير وهو اختلاف أتى من مؤثرات خارجية، وهذا الشعر نفسه يحفظ من تاريخ هذه الأمة ويسجل من مختلف أحوالها ما لا نجده مدوناً في الكتب[٣١].

ولئن فات الدارسين والمؤرخين في العصور الماضية أن يسجلوا ما تحفل به الجزيرة في ماضيها منذ القرن الثاني الهجري إلى ما قبل قرن من الزمن أو أكثر بقليل، فإن هذا الشعر الذي يتناقله رواتها أصبح هو المرجع الوحيد لدراسة أحوال سكان الجزيرة في مختلف النواحي، وليس معنى هذا احتواءه على كل ما يحتاج إليه الباحث، ولكنه هو كل ما سيجده، والقول بعدم الاهتمام به يعني إهمال دراسة أحوال الجزيرة طيلة عشرة قرون أو أكثر، ولا يقول غيور على الأمة ممثلة في حياتها الماضية، لغة وأدباً وعادات. لا يقول بهذا من يتصف بالغيرة، والحرص على الحفاظ على كيان هذه الأمة.

---

(٣١) إنما ندعو إلى استثماره دون إحياء لغته. ومن الناحية الأدبية الفنية ندعو إلى الاستمتاع بصوره ومعانيه وإشباع الدراسات البلاغية والنقدية من ثماره. ابن عقيل.

لقد حفظ لنا التراث في هذا الجزء من وطننا أشياء كثيرة نحتاج إليها في دراسة كل ناحية من نواحي حياتنا العامة، ففيه أمثال عريقة القدم، وفيه وصف لمختلف نواحي الحياة، لا نجده إلا في الشعر الجاهلي والإسلامي، وفيه تعابير لغوية أصبحنا حين نقرؤها في كتب المتقدمين لا نستطيع فهمها ما لم ندرس الشعر العامي الحديث دراسة عميقة، هذا فضلاً عن تسجيله لحوادث تاريخية تمثل أوجه الصراع بين القبائل العربية داخل جزيرتها مما لم تحفل به الكتب المؤلفة قديماً.

ولنورد شواهد يسيرة من ذلك:

(أ) تقول العامة في نجد: (جاني صكة عمي) أي أتى إلي وقت اشتداد حرارة الشمس، وهو مثل قديم ورد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: كنا نستظل بمائدة ابن جدعان صكة عمي.

(ب) وتقول العامة في نجد للمرء حين يذهب إلى جهة غير معروفة: (هف هفة غيلان على صيدح) أي (ذهب كذهاب غيلان) وهو الشاعر ذو الرمة، وناقته صيدح، ويروون بذلك قصة طويلة.

(ج) ونقرأ في الكتب اللغوية عن لهجات العرب القديمة مثل الكسكسة والكشكشة ولكننا لا نستطيع فهم ذلك إلا إذا سمعنا العامي في نجد من الحضر يخاطب أنثى فيقول: كيف حالك؟ الكاف هنا تنطبق بين السين والكاف ونسمع الرجل من بني مرة عندما يخاطب أنثى بتلك الجملة يخرج الكاف بمخرج يقرب من حرف الشين. ومن هذين المثالين يتضح لنا ما خفي على كثير من اللغويين الذين ألفوا كتبهم بعيدين عن الجزيرة.

(د) ونقرأ في شواهد النحو: (طاروا علاهن فطر علاها) ولا يتضح لنا هذا إلا عندما نسمع أبناء البادية لا يستعملون في لهجتهم سوى هذه اللهجة فيبدلون الياء ألفاً في كثير من الأسماء والحروف.

ويستغرب الباحث اللغوي عندما يسمع أحد سكان القسم الشمالي من نجد يقول: بضاعتي بعته أو ناقتي ركبته يحذف الألف ولكنه عندما يرجع إلى كتب اللغة يجد شواهد هذه اللهجة ومنها: (بالكرامة ذات أكرمكم الله به) ـ أي بها.

كما يسمع المتحدث من شمال نجد يقف على التاء المربوطة مظهراً إياها فيقول: الناقت والجاريت، في الناقة والجارية، وهي لهجة قديمة وشاهدها (ليس عندنا عربيت من أتى ظفار حمر) أي: من أتى هذه البلدة تكلم بكلام حمير، لا بالعربية الفصحى[٣٢].

(هـ) أما ما حفل به هذا الشعر من أسماء المواضع الأثرية التي لا نجد فيها بين أيدينا من معجمات الأمكنة ما يفي بتحديدها فأمر من السعة بمكان، لنستمع إلى الشاعر عبدالعزيز بن محمد القاضي (١٢٦٩ ـ ١٣٠٨هـ) من قصيدة يصف سحاباً:

كانفات رقابه بسامي (سنام) حابيات ذيوله على أعلا (كرا)
مد من فوق (حضن) الجنوبي جناح وحط روس (الحلم) و (النفر) بالثرى
مرعف مستمله فوق (تيما) حقوق مسبل ميمنة من ورا (غضورا)

به شبوب شذب ما زمى من (طلال)
و (المضيح) و (وادي الرشا) و (الشعرا)
كن (طمية) بطوفان سيله تدوم
وشال (عروى) و (دلعة) و (عرض مغرا)

---

(٣٢) بل ورد في القرآن: إنا أنطيناك الكوثر بلهجة طيء وهي الآن لهجة خلفهم من شمر. ابن عقيل.

إن كثيراً من هذه المواضع التي ذكرها، والتي لا تزال معروفة زخر بها الشعر العربي القديم ولا نستطيع فهم هذا الشعر، إلا بفهم هذه المواضع التي يعرفها العامة في نجد أكثر مما يعرفها العلماء.

(و) أما عن تدوين هذا الشعر، لكثير من الحوادث التاريخية التي وقعت بنجد في عهود حرمت هذه البلاد فيها ممن يتصدى لتدوين تاريخها فأمر لا يدخل تحت الحصر.

من هذا ومن غيره مما لا يتسع المجال لذكره من الأسباب، يصح القول بأن تدوين ما لسكان جزيرة العرب من تراث شعبي، أصبح من الأمور التي يجب أن يعنى بها كل من يريد الحفاظ على الأمة العربية، ممثلة في أخلاقها وعاداتها وتقاليدها[٣٣].

أما من الناحية التاريخية فقد أفاد من هذا الشعر من كتبوا عن الأنساب كالعزاوي، ومن درسوا أحوال البادية، كما أفاد منه الدكتور العثيمين في دراسته الرائدة لعبدالله بن رشيد[٣٤].

وحديث الشيخ حمد الذي أسلفته تناوله الأستاذ عبدالعزيز بن حمد العويشق وحاول تنفيذه، وتعقبه شيخنا حمد بما لا يشفى لهذا أحببت إيراد كلام العويشق مع تحشياته، ثم يرد تعليقي تلواً.

قال العويشق:

في مقدمة الجزء التاسع من المجلد الثالث (ربيع الأول ١٣٨٩

---

(٣٣) شاعرات من البادية ١/٧ ـ ١١ مقدمة الشيخ حمد الجاسر له. ومجلة العرب ٣/٧٦٩ ـ ٧٧٣.

(٣٤) وقد أشبع هذه الناحية بمقالته بمجلة العرب س ١١ ص ٨٣٩ ـ ٨٦٣ وتحدث ابن خميس عن جدوى هذا الشعر في تحديد المعالم بمجلة العرب س ١ ص ٨ ـ ١٣ وص ٢٩٤ ـ ٣٠٠ وص ٤٩٤ ـ ٥٠٤.

ص ٧٦٩ ـ ٧٧٣) أثرتم قضية العناية بالتراث العامي ـ أو الشعبي كما سميتموه وما أدري كيف تصح هذه التسمية ـ وكان من رأيكم أنها أمر لازم لكل أمة يهمها معرفة تاريخها وماضيها، واستشهدتم واحتججتم واستأنستم.

ومع أني أتفق معكم إلى حد كبير في هذا الرأي فإن لي رأياً فيما أوردتموه حججاً وشواهد على وجوب العناية بذلكم التراث، وما جرأني على أن أكتب إليكم بما أرى إلا ثقتي برحابة صدركم.

وقبل أن أقصد إلى ما أنا بسبيله ألاحظ اعتمادكم في تعزيز ما ترونه على رأي الدكتور طه حسين، ومهما يكن طول باع الدكتور في الأدب فإن طول باعه في معرفة أدب نجد موضع شك كبير(٣٥). والحق ـ من قبل ومن بعد ـ لا يعرف بالرجال.

١ ـ وأول ما لاحظته رأيكم أن إحياء تراث الأقطار الأخرى ـ غير الجزيرة ـ مضعف لتراث العرب، لأن الكثير منه موروث عن أمم بعيدة عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، فيجب أن يحذر منه، بل يجب أن يقضي عليه. ولا أجد معنى لهذه التفرقة، فإن إحياء تراث العامة في الجزيرة ـ على هذا القياس ـ مضعف للتراث العربي الفصيح، لكنني أعتقد أن التراث العربي أرسخ وأعمق من أن يؤثر فيه دراسة وإحياء غيره من تراث الحضارات السالفة، ومعاذ العلم أن يدعو أحد إلى الحد من دراسة وإحياء تراث الحضارات القديمة ما كان هذا الإحياء والدرس لوجه العلم ذاته، إنما المحذور هو الدس المغرض المقصود به الدعوة إلى تقليد ذلكم التراث لأنه من تراث الأمة فحسب بصرف النظر عن قيمته الذاتية.

(٣٥) يقوي من هذا الشك أن يقارن من شاء بين كتاب الدكتور في الأدب الجاهلي والجزء الأول من كتابه حديث الأربعاء وأن يقرأ من شاء كتابه مع المتنبي ومقدمة كتابه من حديث الشعر والنثر. العويشق.

٢ ـ ثم قلتم إن أول مظاهر فائدة دراسة تراث العامة يتمثل في أن تفسير العامة بعض الأمثال يعيننا على تفسير تلك الأمثال الواردة في مظانها من التراث الفصيح. وهذا أمر فيه نظر، فمن المعلوم أن تفسير الأمثال يضطرب اضطراباً كبيراً، ونظرة مقارنة عجلى إلى كتب الأمثال[٣٦] تكشف عن هذا أوضح كشف، فكيف بما يتناقله العامة، مما تجرمت عليه القرون!

٣ ـ ورأيتم أننا لا نستطيع فهم ما يرد في كتب النحو واللغة من مظاهر اللهجات العربية القديمة إلا بملاحظة لهجات العامة التي يمثلها التراث العامي[٣٧] وهذه الطريقة ـ طريقة قياس الماضي على الحاضر ـ طريقة معروفة في علم اللغة[٣٨] ولكنها طريقة كثيرة المحذورات إذا مر في خلدنا ما هو معلوم من تطور اللغات، خاصة لهجات الخطاب التي لا يحدها ضابط ولا يحوي نحوها وصرفها كتاب، وإذا لاحظنا الاضطراب الكبير في توضيح تلك اللهجات في الكتب التي ذكرتها[٣٩].

٤ ـ ورأيتم أن هذا التراث بما حواه من أسماء المواضع يعين على إيفاء تحديدها الناقص في معجمات المواضع، واستشهدتم بشعر أحد شعراء القرن الثالث عشر، ولكن الناظر يرى في هذا الرأي مغالاة شديدة، فكيف يمكن الاستعانة بشعر قيل في القرن الثالث عشر على تحديد موضع ورد في خبر عن القرون الأولى للهجرة، مع ما تعلمونه من اشتراك

---

(٣٦) الفاخر للمفضل بن سلمة وجمهرة الأمثال لأبي هلال ومجمع الأمثال.. الخ. العويشق.

(٣٧) من قبل سلك نحواً من هذا المسلك المرحوم حفني ناصيف في كتابه مميزات لغة العرب، وقفا أثره الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية. العويشق.

(٣٨) علم اللغة للدكتور وافي ص ٤٤ ـ ٤٥ (ط ١٣٨٢). العويشق.

(٣٩) المزهر ج ١ ص ٢٢١ (ط الحلبي) فقه اللغة (للثعالبي) ص ١٧٣ (ط الاستقامة) مجالس ثعلب ٨١ (ط هارون) جمهرة الأشعار ص ١٨٦ (ط بيروت)، اللسان ع ن ن الكامل (ط شاكر).. الخ. العويشق.

مثير من المواضع في أسمائها مع اختلاف أصقاعها مما هو مبسوط في كتب المشترك والمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق مما أنتم أدرى به من سواكم، ومع ما تعلمونه من عيش البدو وهم أغلب سكان الجزيرة الذي لا يستقر في مكان، بل يسيره الخصب والجدب وما يقتضيانه من استقرار أو نجعة. أجل، يفيد هذا التراث علمًا بالضرورة لو تهيأ لنا من النصوص ما يتيح متابعة هذه المواضع منذ الجاهلية حتى يومنا. وإني لا أنكر بعد ما لتراث العامة من قيمة في الاستئناس ما قدم عهده ووثق سنده.

٥ ــ ورأيتم أن هذا التراث مفيد للمؤرخ بما دونه من الحوادث التاريخية.

وأنا أتفق معكم في أن التراث الأدبي مصدر ــ لا مرجع ــ للتاريخ، لكنه مصدر ظنين، فإن الأدب ــ خاصة أدب الأمم المتأخرة في سلم الحضارة ــ كثير التشويه للحقائق التاريخية، إذ يتدفق الأديب ــ عن قصد أو غير قصد ــ إلى المبالغة في كل ما فيه رفع لقدر قبيلة، وتهوين من قدر عدوه، وقد يضطر إلى الكذب وتغيير الحقائق دفاعاً عن موقفه وموقف قومه وتسويغاً لهزيمتهم أو تملقاً لشعور قرائه، يعينه على ذلك التعريف الواسع للأدب وآراء الناقدين منذ أيام اليونان إلى يومنا وتساهلهم في المبالغات الأدبية مما تجلى أثره في آثار قدماء الأدباء ومحدثيهم منذ أيام حيرودوت وتاسيت إلى عهد دوما وشوقي. فالأدب مصدر للتاريخ، لكن بالشهادة الخارجية وحدها دون الشهادة الداخلية النصية(٤٠).

وبعد، فهذا ما رأيته في مقالكم موضعاً للتعليق، وباصطحاب هذه الحدود والتحفظات في درس وإحياء التراث العامي أتفق معكم في الدعوة

---

(٤٠) في النقد التاريخي للانجلوا وأسيزبوس ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ (ط ترجمة د. عبدالرحمن بدوي) منهج البحث التاريخي للدكتور حسن عثمان ص ١٢٧ (ط دار المعارف) عرض لهذا الرأي لا يروي غلة. العويشق.

إلى هذا الإحياء وإلى وضع الكتب المفصلة في تاريخه وتطوره، ونحوه وصرفه، ومتن لغته ومظاهر بلاغته، لئلا تذهب به صروف الأيام كما ذهبت بتراث العامة في العصر العباسي وما تلاه من عصور، فلم يبق منه إلا إشارات مقتضبة في أنابيش الكتب التي قصد بها إلى التسلية مؤلفوها ككتاب الفرج بعد الشدة و «أخبار الحمقى» و «المتصرف» وبعض فصول «اليتيمة» أو التي قصدها أصحابها من تدوين اللهجات العامية ــ وهي قلة ــ مثل «الجمانة» و «رفع الأمير»[٤١].

قال أبو عبدالرحمن: أما عن الملاحظة الأولى فإن بين التراثين فرقاً، فأدب العامة في نجد مفسر للفصحى في ملامح كثيرة أهمها دراسة المجاز اللغوي، وليس كذلك التراث الآخر، لأن الأدب العامي الآخر بعيد الصلة بالفصحى البعد الذي لا يتأتى معه أن يكون مفسراً ومتمّماً للدراسات اللغوية.

وثمة ملمح آخر وهو أن الدعوة إلى دراسة الأدب العامي ــ وهي ضرورة تاريخية لغوية لا خيار لنا فيها ــ لا تضعف التراث العربي، لأن أدب العامة يدرس لأجل الخاصة فلا يفقهه إلا من كان من أهل اللغة والبيان.

وإنما الخطورة في الدعوة إلى الكتابة بالعامية، والدعوة إلى النظم بالعامية.

ونحن نخشى على الأمي أن لا يتعلم، ولا نخشى على المتعلم أن يكون أمياً.

وأما عن الملاحظة الثانية فالعكس من كلام الشيخ حمد هو الصحيح، وهو أن التراث الفصيح يفسر المثل العامي، وقد برهن على ذلك تطبيقاً كتاب الشيخ العبودي عن الأمثال.

---

(٤١) مجلة العرب س ٤ ص ٨٠ ــ ٨٣.

وفي هذا التفسير دلالة على ارتباط المأثور العامي بالمأثور الفصيح.

ومعاني هذه الأمثال ذات غناء لإثراء تراثنا وإخصاب موهبة الأديب.

وأما الملاحظة الثالثة فلعمر الله إن كلام شيخنا حمد الجاسر لفي صميم الحقيقة ودعك من هذيان القياس والتطور فالمسألة تجربة وتطبيق ووقائع ففي شرحي لهذا الشعر أخذت بخيط الشفق الممتع الذي طرز به ابن فارس معجمه في ضبط الأصول والمجازات فرأيت معاني العامة مطردة مجازاً من نفس الفصحى بنفس الاطراد الذي وجد عند ابن فارس، وقد بينت في كتابي عن القاعدة والمثال أن كل مجاز صح فهو من لغة العرب غاية ما هنالك أن يضبط تاريخ المجاز فلا نفسر بالمجاز الحادث نصاً سابقاً[٤٢].

وأما الملاحظة الرابعة فلعمر الله إن للشيخ حمد مأخذاً لطيفاً برهانه من نفس اعتراض العويشق فمع تعدد الأسماء لمسمى واحد واتحاد الاسم لمسميات متعددة يبقي التمييز بدلالة الشعر العامي من المرجحات كمسكن القبيلة واقتران ذكر الموضع بذكر موضع آخر معروف قريب منه في نص أدبي فصيح فإن عدم أغنى عنه النص الأدبي العامي وكان من المرجحات التي لا يستهان بها.

ومن الملاحظ أن مسميات الأعيان من جماد ونبات وحيوان لم يطرأ عليها تغيير بسبب العامية إلا نادراً.

وأما الملاحظة الخامسة ففيها اعترف العويشق بالجدوى التاريخية ولكن بشكل طفيف، ولم يصب في هذا التطفيف، لأن أسفار هذا الكتاب رد عملي لا سيما ما يتعلق بأحوال البادية ومغازيها ومناخاتها مما أهمله مؤرخو نجد، واندفاع الشاعر بعاطفته لا يلغي مدلول الشعر العامي لأبناء عصره

---

(٤٢) انظر كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ١٧.

لأنه كما حفظت عاطفته الشعرية حفظ أيضاً شعر الطرف المقابل والطرف المحايد، والتاريخ يؤخذ من دلالة نصوص مختلفة وليس من دلالة نصوص متواطئة.

* * *

وربما توهم متوهم أن تسميتي له بالشعر العامي تحتم أن تكون كلمة عامي مرادفة لشعبي.

قال الدكتور عبدالله العثيمين:

وهناك من يسميه الشعر العامي أو الشعر الشعبي، والتسميتان ترمزان إلى معنى واحد وهو أن ألفاظ هذا الشعر هي الألفاظ التي يتكلم بها عامة الناس أو سائر الشعب لا أن الذين يقولونه هم العامة وحدهم لأنه خلاف الواقع(٤٣).

قال أبو عبدالرحمن: الأصل في مادة عم الكثرة، ثم أطلق العموم على ما يستغرق الجميع وأطلقت العامة تسمية لضد الخاصة(٤٤).

قال أبو عبدالرحمن: وعرف من تجربة البشر أن من يسمون خاصة من أصحاب حرفة أو علم أو فن أو داخلة إنما هم قلة بالنسبة لمن سواهم في العصر والمصر.

وما دامت عامة ضد خاصة فالعامة هم الأكثرون.

أما شعبي فالشعب معروف لغة ولكنه أطلق في عرف المتأخرين على الرعية فالنسبة إلى الشعب نسبة استغراق والنسبة إلى عامة نسبة إلى الجمهور والأكثرية.

---

(٤٣) مجلة العرب س ١١ ص ٨٤٠.

(٤٤) انظر تفصيل الاشتقاق لهذه المادة بمعجم مقاييس اللغة ٤/١٥ ــ ١٨.

فهذا أول فارق بين شعبي وعامي.

فلا يجوز أن ينسب إلى الشعب إلا ما يهم جميعه فإن نسب إليه تجوزاً ما يهم أكثره أصبحت شعبي مرادفة لعامي.

ولو أردت بتسميتي هذا الشعر العامي أن من ينظمه أو يتذوقه هم عامة الناس وسائر الشعب أو أن لغته مما يتكلم به عامة الناس وسائر الشعب لكانت كلمة عامي مرادفة لشعبي.

ولكان من لوازم ذلك أن لا يسمى هذا الشعر عامياً ولا شعبياً إلا إذا أصبح عامة العرب ينطقون الفصحى ويبدعون ويتذوقون الأدب الفصيح.

إنني لم أراع في الاصطلاح المعنى اللغوي، وإنما راعيت مصطلح علماء العربية، وهو مصطلح تاريخي أطلق العامية على كل كلام غير متمحض للفصحى ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون الفصحى لغة القلة أو الكثرة.

وبهذا افترق مصطلح شعبي عن مصطلح عامي، وبهذا رفضت مصطلح الشعبي وأيدت المصطلح العامي.

* * *

وامتداداً للحديث عن أوزان الشعر العامي وألحانه أتكلم عن اللحن الشيباني، فهذا اللحن ذكره الشيخ عبدالله بن خميس تحت صوت ولم يسمه فقال(٤٥):

وأحياناً يستقل الشاعر ـ في هذا الدور ـ بمعنى يقول فيه البيتين، والثلاثة، والأكثر، فيأتي الشاعر الثاني، فيناقضه، كما وقع لأحد الأمراء الكبار المتأخرين، مع أمير آخر، قال هذا الأمير الكبير.

---

(٤٥) الأدب الشعبي ص ٣١٧ ـ ٣١٨. والشرح الذي سأورده عن هذا الكتاب.

الا يا مل قلب كل ما جا الليل جاه خلاج

يلوج ويلتجي في الصدر والعربان ممسين(٤٦)

انا متحير ما ادري عن المدخال والمنهاج

الا ياعمس رايـي ما لقيت اللي يقديني(٤٧)

الا يا مجيب دعوة من تصافق فوقه الامواج

انا بحماك ياوال الخلايق لا تخليني(٤٨)

فيجيبه الأمير الآخر:

ألا يا صاحبـي دينالك ما تحتاج ما تحتاج

ترى اللي سالم منها تعادل فيه رمحين(٤٩)

تعبر بالهجين اللي يضدنه ظـلاف العاج

تـودي حملهـا ويصبـح خـاطـره زين(٥٠)

ترى بعض العرب عمله بروحه مثل وصف سراج

ينور للعرب والنار في جوف المسيكين(٥١)

---

(٤٦) يامل قلب: يا من لقلب هذه صفته ينقده. خلاج: اضطراب وتوتر.
يلوج ويلتجي: يضطرب ويسكن.

(٤٧) أنا متحير مدري: أنا حائر لا أدري.. يا عمس رايـي: بالتفكير المضطرب.
يقديني: يرشدني ويبصرني.

(٤٨) من تصافق فوقه الامواج: المراد ذو النون. يونس ـ في الآية: ﴿فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت.. الخ﴾ لا تخليني: لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك.

(٤٩) ما تحتاج ما تحتاج: ليست بذات بال حتى تتألم منها هذا الألم.
ترى اللي: إن الذي.. تعادل فيه رمحين: ضرب برمحين فكيف بغير السالم.

(٥٠) تعبر بالهجين: اقض حاجتك بالناقة المرنة الدارب. اللي: التي.
يضدنه ظلاف العاج: تؤلمها عضادات القتب. الجاير: الثقيل.

(٥١) ترى: إن. بروحه: بنفسه. وهذا المعنى قد طرقه شاعر عربي، هو مروان بن أبي حفصة بقوله:

أحـرم منكـم بمـا أقـول وقـد   نـال بـه العـاشقـون من عشقـوا =

قال أبو عبدالرحمن: هذا هو اللحن الشيباني اشتهر في نفي والدوادمي وشقراء وعموم عالية نجد.

ونظم عليه وغنى به ابن سيعدان مطوع نفي وعبدالله بن دويرج وفهيد السكران وصالح السكيني والبواريد وابن بليهد والطرباقة ابن مقحم ومنيع القعود والشويب من الروقة.

وتفرغ لهذا اللحن وشهر به عبدالله اللويحان فنسب إليه لأن صوته بهذا اللحن من أعذب الأصوات، ولأن معظم شعره على هذا اللحن كقوله:

يقولون العرب من وسع المقطع يجيبه العود
ومن لا بالصحو جود مسيل الغرس ما سال

وقوله:
الا يا نجد يا منتج رجال تعطب المضراب
ترانا درعك الظافي الى جا حزم كلاب

وقوله:
تغني يا حمام الروض مسرورة وانا مسرور
ابا اسمع صوتك الفاتن على نبنوبة الوادي

وقد أوردت في هذا السفر نماذج للحن الشيباني من شعر منيع القعود والشويب.

= صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
قال أبو عبدالرحمن: إلى هنا كله عن الشيخ ابن خميس.

ومن ذلك قول الروقي :

الا يا وجد روحي وجد من تاه الركاب وتاق

واهيله من ورى ركبة وخلنه ورا النير[٥٢]

وقال شاعر من بني سليم حل ضيفاً على عين خلص فلم يضيفه أهلها :

عسى يا خلص عينك مدرج الافلاك يخفيها

بلا فيك الوجيه اللي يديها تقطع المد[٥٣]

وأورد الأخ عاتق البلادي عدة قصائد من اللحن الشيباني في كتابه الأدب الشعبي في الحجاز كقول السلمي :

مريح في الغريف ولا بدا في عالي القنة

ولا وايق مخافة مع سبور القوم باديها

وقول الربعي من بني عبدالله من مطير:

انا هيض عليه طرقة جت لي مع الغزوان

مطير اللي يزورون الاعادي في مشاحيها

وقول محمد بن مبارك المحقني الروقي :

يقوله من تهيض يوم عدى عالي المزبان

مويق في علو الحيد من فرع النعم بادي

ومما ورد على هذا اللحن قول ابن جعثين:

أرى كثر التردد لو على بيتي من المنقود

الا واعجبتي في الغير كيف يكثر الجية

---

(٥٢) المجاز ص ١٣٥ والعرب س ٤ ص ٣٩١ .

(٥٣) مجلة العرب ج ١ س ٨ عام ١٣٩٣هـ ص ١٢ .

وقول آخر:

ألا يا الله لا يسقيك يا قلبان مران
تلم الحي في ساعة وكل ضارب نية[٥٤]

وقال شاعر من الروقة:

ألا يا سعد من غنى بعدما وايق المزبان
ما أعد يوم قاد المال في راس الوريكية[٥٥]

وقول سليمان بن شريم:

انا ابا احذرك من مدة يمينك تاخذ المفراص
كما اللي يبغي الحذوة وتقرضه المسامير

وقول عبدالرحمن البواردي:

عسى من لامني في حبكم يرمى بدرب الخيل
ثمان ايام حي ما يذوق الما وهو ظامي

وقول شاعر من بني عبدالله:

وجيناهم شريق الشمس يوم المال في المرحان
وزفينا امهات الباب مع ضين يباريها[٥٦]

وهذا اللحن على وزن مفاعيلن أربع مرات لكل شطر أكثر ما يكون هذا اللحن في المراد (القلطة) بغناء جماعي، والمراد عادة بين شاعرين، وقد

---

(٥٤) العرب ج ٨ س ٤ ص ٧١٥.
(٥٥) عالية نجد ١٣٠٤/٣.
(٥٦) نسب حرب ص ١٦٣ قال الأستاذ البلادي: الباب: وسم البلادية على الإبل عدا العرادات فوسمهم الباكور.

يكون جماعياً على طريقة غناء المراد وإن كان الشعر قصيدة واحدة يتابعون فيها الراوي أو الشاعر.

وقد يغنونه جلوساً، وله صوت آخر يكاد يقرب من طويل الهجيني فمما غني على هذا الصوت الأخير قول الشاعر:

ضربني ضربة منها العطب وانا ابن شيبان
ونجاني ولي العرش ولاجا في امارية

وهذا البيت مما كنا نغني به في الأنقاء أيام الصبا وهو من قصيدة لأحد اللصوص يسمى شويمي الشيباني أوردها ابن بليهد في الجزء الثاني من صحيح الأخبار.

قال شويمي:

حمدت اللي وقاني من هذيل ومن بني سفيان
مربطة يديني بالحبال وطلق رجليه
بعد صكوا علي الجيش الادهم بشروا عثمان
كما اللي بشروه دفاف والحقهم ريالية
رموني رمية منها العطب وانا ولد شيبان
ونجاني ولي العرش ماجا في امارية
وخلوني ورا ضلع القرين ومن تحت نعمان
وطراهم ذبحتي لا شك ربي ما رضى فيه
كما اني مقطع العاني واعينه واشبع الجيعان
بحقي دون وجهي واجب تتميم عانيه
وانا مالي بعارين ولا معزا ولالي ضان
يقع ما حصلت يمناي في وسط الحرامية

ومن هذا اللحن قول البواردي :

الا يا سعد ما انتا سعد خاب من سماك

عناوين السعادة بينات لي مواريها

وقول الآخر:

الا يا الله لا تجعل حياتي دايم قراش

مع القراشة اللي بالخلا دايم شقاوية

وقول شاعر رابع :

ترى اللي ياخذ الراجع على اول شبته خسران

تذكر زوجها الاول ولو هو مسوي فيها

ويبدو أن لهذا اللحن صوتاً ثالثاً يتبعه تصفيق وردح (من نوع الرقص) وذلك في بادية الحجاز[٥٧].

□ □ □

(٥٧) انظر نسب حرب ص ٢٣٤.

ـ ٢ ـ
الكناية والمبالغة في الأدب العامي

من الظاهرات البلاغية البارزة في الشعر العامي الكناية تكثر في شعر القرويين وتقل في شعر البادية عرفت هذا بالتتبع كما تجد في سردي للشواهد.

وكثرة الكناية مع حسنها دليل الشاعرية وقد توجت هذه الحسنات الكنائية شعر حميدان وابن جعيثين.

وقبل دراسة هذه الظاهرة البلاغية في الشعر العامي أحب أن أقدم لذلك بدراسة موجزة للكناية كظاهرة عامة في الأدبين الفصيح والعامي، وأحب أن تكون هذه الدراسة الموجزة تقدم شيئاً جديداً لكتب البلاغة، ولتكن البداية بتعريف الكناية.

قال ابن معصوم عن معنى الكناية في اصطلاح البلاغيين:

ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمه المساوي لينتقل الذهن منه إلى الملزوم المطوي ذكره كما يقال: فلان طويل النجاد: أي طويل القامة.

فترك التصريح بطول القامة إلى ذكر لازمه المساوي وهو طول النجاد لينتقل الذهن منه إلى طول القامة[1].

ثم تكلم عن وضوح الكناية وخفائها فقال:

ثم الكناية إن لم يكن الانتقال منها إلى المطلوب بواسطة فقريبة كقولهم كناية عن طول القامة: طويل النجاد.

---

(١) أنوار الربيع ٥/٣٠٩.

وإن كان بواسطة فبعيدة كقولهم كناية عن المضياف: كثير الرماد.

فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر ومنها إلى كثرة الطبائخ ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود[٢].

قال أبو عبدالرحمن: الكناية تعبير غير مباشر، وليس من الشرط أن تكون تعبيراً عن الشيء بلازمه، لأن دلالة التعبير أشمل من اللازم كما سيتضح من الأمثلة.

وربما توهم أن الكناية تختلط ببعض ضروب البلاغة إلا أنه بإمعان النظر يتضح أن هذا التوهم لا اعتبار له، لأن الكناية تتميز بأن المقصود ترك التصريح لغرض بلاغي.

خذ مثال ذلك قول القائل: عند زيد فراش فربما توهم أن المراد تشبيه امرأة زيد السمينة الناعمة بالفراش الوثير وليس هذا بصحيح فلم يرد المخبر التشبيه، لأنه ليس وراء هذا التشبيه حسنة فنية فقد كاد يكون الفراش مرادفاً لغوياً لكلمة امرأة في عرف الأجيال لأن المرأة تفترش، وإنما آثر التعبير بعرف أدبي بدلاً من التصريح بالاسم اللغوي لأنه متعمد لترك التصريح لغرض بلاغي سأذكره إن شاء الله في مقاصد الكناية.

وعكس هذا المثال لو قال: رأيت زيداً لبس عيون الجنادب، فهذا لا يريد الكناية لأن العرف لم يستقر على أن الدروع يعبر عنها بعيون الجنادب، وليس وراء التعبير بعيون الجنادب كناية عن الدروع أي هدف بلاغي فصح أن المراد التشبيه، ولأن القيمة البلاغية وراء التشبيه فهو المقصود.

---

(٢) أنوار الربيع ٣١٤/٥.

وثمة مثال آخر هو قول القائل: زيد من أهل الجنة فربما توهم متوهم أن ذلك تلميح إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر أهل الجنة البله.

والواقع أن هذا كناية لا تلميح لأنه آثر التعبير بعرف شرعي غير مباشر الدلالة على تعبير لغوي صريح مباشر وهو البله لمقصد بلاغي، فكانت الكناية بالتلميح والحسنة البلاغية في الكناية لا في مجرد التلميح.

ويتضح هذا الفرق بمثال معاكس وهو قول علاء الدين الوداعي فيمن وعده بسمك:

يا مالكا صدق مواعيده خلى لنا في جوده مطمعا
لم نعد في السبت فما بالنا لم تأتنا حيتاننا شرعا

فهذا تلميح إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا﴾ (سورة الأعراف: ١٦٣)[٣].

وهذا يكون كناية لو قال: فلان من أهل السبت بشرط أن يكون وراء هذه الكناية هدف بلاغي وإلا فهي كناية صورية غير معتبرة في بلاغة العرب.

وإنما عد كلام علاء الدين تلميحاً لأن الموعود به وهو السمك هو الممنوع في القضية الملمح لها وهو عدوان اليهود في السبت، وحسن هذا التلميح بلاغة لأنه اتخذ منه أسلوباً كلامياً.

---

(٣) أنوار الربيع ٤/٢٧٢.

وخذ مثالاً ثالثاً وهو قول يحيى بن أكثم ملغزاً في العين:

وباسطة بلا نصب جناحاً ... وتسبق ما يطير ولا تطير
إذا ألقمتها الحجر اطمأنت ... وتجزع أن يباشرها الحرير[٤]

فهذا تعبير غير مباشر وهو إلغاز لا كناية، لأنه ليس في مجال الخيار بين تعبير مباشر وغير مباشر فآثر التعبير غير المباشر لغرض بلاغي.

وإنما ابتكر تعبيراً غير مباشر ـ ولم يطرح تعبيراً غير مباشر مألوفاً في العرب الأدبي أو الشرعي ـ غير مؤثر له على التعبير المباشر لغرض بلاغي وإنما أراد اختبار ورياضة ذكاء السامع.

وعكس هذا المثال قولهم عن الكذوب: الفاختة عنده أبو ذر.

فالفاختة مضرب المثل في الكذب. قال الشاعر:

أكذب من فاختة ... تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها ... هذا أوان الرطب

وأبو ذر رضي الله عنه مضرب المثل في الصدق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر[٥].

فقول القائل: الفاختة عنده أبو ذر ليس إلغازاً، لأن القائل لم يتخذ أي حيلة لإخفاء المقصود لاختبار ذهن المخاطب فإن غمض المقصود على المخاطب فليس ذلك لغموض في الكلام وإنما هو لجهل المخاطب بخصيصتي أبي ذر والفاختة.

---

(٤) أنوار الربيع ٦/٤٠ ـ ٤١.

(٥) الكناية والتعريض ص ٣٨.

إذن هذا القول كناية عن كذب الكذوب لغرض بلاغي سوغ له التعبير غير المباشر.

ويمكن التفريق بين الكناية والإبهام بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والإلغاز.

ويمكن التفريق بين الكناية والاقتباس بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والتلميح.

ويمكن التفريق بين الكناية والاستعارة وشتى وجوه المجاز بقريب من المنهج الذي فرقت فيه بين الكناية والتشبيه.

وإنما حرصت على هذه التفريقات لأن البلاغيين لم يحتفوا بها.

وبإيجاز فإن الكناية تتميز بالتالي:

١ ــ أن القصد في الكناية الخبر ذاته.

٢ ــ أن يكون الخبر عن الشيء بغير اللفظ الموضوع له لغة ليكون التعبير غير مباشر.

٣ ــ أن يكون ذلك التعبير غير المباشر إما عرفاً ثقافياً كالكناية عن الغلام المليح بأنه على شرط يحيى بن أكثم(٦) وإما لزوماً عقلياً لا احتمال فيه كقول عمر بن أبي ربيعة كانياً عن طول الجيد:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل   أبوها وإما عبدشمس وهاشم

٤ ــ ما يظن أنه تشبيه في صورة ورود الكناية إنما المراد به الوصف لا التشبيه لأن التشبيه لذات التشبيه أما هنا فهو لأجل الكناية فصار وصفاً(٧).

---

(٦) انظر الكناية والتعريض ص ١٩.

(٧) عن الفرق بينهما راجع كتابي (الشعر في البلاد السعودية) ١٣٧/١ (حاشية).

٥ ـ أن يكون الكاني قاصداً الخبر ولكن بغير لفظه الدال عليه، فهو أيضاً قاصد للتعبير غير المباشر لغرض بلاغي سأذكره.

فربما كان المانع من التصريح هو الدافع إلى الكناية، وربما كان المغري بالكناية هو المانع من التصريح.

٦ ـ الكناية في حقيقتها ليست سوى وصف إلا أنها وصف وزيادة فارتفعت بذلك درجتها عن الوصف بموجب الحس الأدبي.

ذلك أن الوصف تتحدد هويته بالتالي:

(أ) أن الوصف والموصوف مقترنان إما ظاهراً وإما تقديراً.

أما المكني والكناية فلا يقترنان بل الكناية عوض عن المكني، والكناية وصف للمكني.

فلكون الكناية وصفاً قلت إن الكناية وصف.

ولكون الكناية عوضاً عن المكني تميزت عن الوصف.

(ب) أن الوصف بيان للموصوف أو تشويق لبعض خصائصه أو العكس.

أما الكناية فهي وصف وزيادة لأن وراءها سراً بلاغياً زائداً على حسنات الوصف. وهذا واضح من استجلائي لأسرار الكناية في عدد من الشواهد التي سأذكرها من الشعر العامي، ويكفي أن أذكر سراً بلاغياً واحداً ها هنا وهو قول الشاعر الفصيح:

وما يك في من عيب فإني   جبان الكلب مهزول الفصيل[٨]

---

(٨) أنوار الربيع ٥/٣١١.

فهو ها هنا وصف نفسه بالكرم وصفاً غير مباشر فهذه زيادة حسنة.

ثم إن الذهن يتشوف إلى طلب السر في كون كلبه جباناً وفصيله هزيلاً وليس طلب هذا السر من مقاصد الوصف المجرد.

ومعنى البيت أن ضيوفه كثيرون فجبن الكلب عن الهرير في وجوههم لكثرة ترددهم.

ولكثرة ضيوفه صار يقدم لهم حليب بقرته فلم يجد الفصيل ما يرضعه حتى هزل.

وأقرب ضروب البلاغة إلى الكناية التعريض وقد فرق بينهما الزمخشري بأن الكناية ذكر لشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره[٩].

قال أبو عبدالرحمن: يتضح الفرق بالمقارنة بين هذين المثالين:

١ ــ أن تقول: الأمير فلان لا يؤذي.

٢ ــ أن تقول لمن يؤذي: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

فالأول كناية عن الضعف عبرت عن الضعف بعدم الإيذاء.

والثاني تعريض لأنك لم تكن عن شيء بشيء إنما ذكرت شيئاً وهو الحديث الشريف لشيء لم تذكره وهو أن فلاناً يؤذي والغرض البلاغي هنا زجره.

وربما قيل إن قولك فلان لا يؤذي تعريض بعجزه، حيث ذكرت شيئاً وهو عدم الإيذاء لتدل به على شيء لم تذكره وهو العجز، وقد عبرت

---

(٩) أنوار الربيع ٦/٦٧.

عن العجز بعدم الإيذاء أي بغير لفظه الموضوع له فهذا هو اصطلاح الكناية والتعريض معاً فأين هو الفرق.

قال أبو عبدالرحمن: الفرق الذي بنى عليه الزمخشري اصطلاحه يتضح من القصد البلاغي لا من صورة تركيب الكلام.

ففي المثال الأول: أردت الإخبار عن شيء بغير اللفظ الموضوع له لغة وأنت لا تريد لفت نظره إلى عجزه أو لفت نظر غيره لغرض بلاغي وإنما أردت الإخبار عن عجزه ـ سواء ألفت ذلك نظره أم لا ـ إيثاراً منك للتعبير غير المباشر.

أما في المثال الثاني فأنت لم ترد الإخبار عن إيذائه بلفظ غير مباشر، لأن قولك: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ليس خبراً غير مباشر عن الإيذاء بأي عرف ثقافي.

فإن قيل ذكر الحديث دليل على أنه حصل منه إيذاء قلت ليس المراد مجرد الإخبار عن حصول الإيذاء، وإنما المراد طلب كف الأذى فالواقع أن في هذا التعريض إخباراً عن حرمة الإيذاء لا حصول الإيذاء، وهذا إخبار صريح لا كناية فيه.

لهذا وجب تعديل عبارة الزمخشري هكذا: (والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على أمر يتعلق بشيء لم تذكره).

فالمذكور هنا الخبر الزاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير المذكور حصول الإيذاء، والمتعلق بغير المذكور حرمته.

وليس بممتنع أن تشتمل الجملة على أكثر من ضرب بلاغي كقول أبي نواس: أليس ركوب الفحل في الحرب أجودا.

فركوب الفحل كناية عما اشتهر به أبو نواس وهو في نفس الوقت حسن تعليل للشطر الذي قبله.

وإذ تقرر كل هذا فالكناية إما لأمر مانع من التصريح، وإما لأمر يغري بالكناية.

وهذه الموانع والدوافع لا يلتمس حصرها من تقنينات البلاغيين، وإنما تستنبط من الشواهد الأدبية بعد معرفة خصائصها والفوارق بينها وهذا إنما يكون بعد سياحة أدبية طويلة وحسبي هنا أن أستجلي بعض الموانع والدوافع من عدد من الأمثلة التي ذكر الثعالبي في كتابه عن الكناية والتعريض.

فمن الموانع عن التصريح الدافعة إلى الكناية:

أن لا يجسر المخبر على التصريح بالمخبر عنه ككناية بعض الكتاب عن قطر الندى بنت ابن طولون بالوديعة(١٠).

أو أن يتذمم المخبر من التصريح كالكناية بجملة: لا ترد يد لامس

أو أن يستقذر ويستقبح التصريح كقول الشاعر:

وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه ... أو عرسه لكريهة لم يغضب

فكنى بمطلب الأنف عن فرج الأم، لأن الجنين في عرف العرب إذا تمت أيامه في الرحم طلب بأنفه الموضع الذي يخرج منه(١١).

وبعكس ذلك قول المتنبي:

إني على شغف بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

علق عليه الصاحب بن عباد بقوله: كثير من العهر أحسن من هذه العفافة(١٢).

---

(١٠) الكناية ص ٥ ــ ٦.

(١١) الكناية ص ٧.

(١٢) الكناية ص ١٧ عن كتيب مساوىء شعر المتنبي.

ومن الكنايات لهذا المانع قول بوران لزوجها الخليفة المأمون عندما زفت إليه وقد حاضت في غير الأوان: أتى أمر الله فلا تستعجلوه. كناية عن حالها[١٣].

ومن الدوافع إلى الكناية من غير مانع عن التصريح:

أن الكناية تحقق غرضاً يريده المتكلم كقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسائق الإبل التي عليها نساؤه: رفقاً بالقوارير.

فهذا التعبير أدعى إلى الرفق بهن.

ومن الدوافع تلميح وتحسين ورفع المستهجن المرذول كقول أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب كانياً عن الفرج:

وتقحمت مطامير الهوى ... فعرفت الضيق منها والسعة

قال أحد الأدباء معلقاً: إن من يكني عن الأحراح والفقاح بمطامير الهوى لمن شياطين الإنس الذين سخر لهم الكلام حتى قادوه بألين زمام[١٤].

وقد لا يراد بالتلميح الخبر عن حسن في الواقع وإنما ذلك للتسلل إلى القبيح بطرف خفي كقول رجل سئل عن امرأة فقال فيها خصلتان من خصال الجنة يكني عن البرد والسعة[١٥].

ومثل ذلك قول ماجن يكني عن مفاخذة الغلمان:

لا أركب البحر ولكنني ... أطلب رزق الله في الساحل[١٦]

---

(١٣) الكناية ص ١٤ ــ ١٥.

(١٤) الكناية ص ٨.

(١٥) الكناية ص ١٧.

(١٦) الكناية ص ٢٣.

ومن ذلك التفاؤل كالكناية بالعطار عن الكناس.

قال أبو إسحاق الصابي يذم ذوي الشذوذ:

كم من نضيف ظريف بات ممتطيا ظهر الغلام فأضحى وهو عطار[١٧]

ومن ذلك الكناية بالسليم عن اللديغ وبالمفازة عن المهلكة وبأبي يحيى عن ملك الموت وبأبي البيضاء عن الحبشي[١٨].

قال أبو عبدالرحمن: ولا أعلم أحداً تناول الكناية من منطلق المفارقة بين المانع من التصريح والدوافع إلى الكناية.

وقد يجتمع في الكناية المانع من التصريح والمغري بالإيحاء كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ففي هذا دافع للكناية وهو التلميح والتشويق ومانع من التصريح وهو استقباحه.

ومثل ذلك قول البحتري:

لم يخط باب الدهليز منصرفا إلا وخلخالها مع الشنف

فلما كنى عما يستحي منه أضاف إلى ذلك حسنة الإيجاز.

ومثل ذلك قول ابن الرومي في الهجاء:

ما مر من يوم عليه وليلة إلا وبعض غلامه في بعضه[١٩]

فهذا تلميح يرفع الكلام عن مستوى التعبير المباشر الذي يضيق به الأدباء وإن كاد يكون في حكم التصريح عند جمهرة المجان.

---

(١٧) الكناية ٢٦.

(١٨) الكناية ٥٣.

(١٩) الكناية ١١.

وهـذا الأنموذج جمـع بين حسنـة الإيجاز والكف عن التصـريح مما يستحى منه إلا أن المجان لم يقصدوا هذا الكف تجملاً منهم وإنمـا غرضهم حسنة الإيحاء فقط فجاء حسن الكف بالتبع.

ومن أحلى الكنايات عن النصر قول الشاعر:

سقينـاهم كأسـا سقونـا بمثلهـا ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

ولا يظهر لي أن العامة يعرفون الكناية كمصـطلح أدبـي ولكن مثقفيهم يلمون بها كمدلول لغوي كقول ابن سبيل معتذراً عن تصريحه:

باهل الهوى من شارب الخمر شارات وفيهم من اللي يطرد الصيد شاية
شارات راعي الخمر سكرة وغشوات والصيد ولعه ما على الله كناية

وإليكم نماذج مدروسة من كنايات الشعر العامي.

قال العوني:

اللي ورا الجدران تاخذه العدا وهو آخذ ما كان داخـل بابهـا

فهو في الشطر الأول يكني عن ضعف وعجز عجلان أمير الرياض في عهد عبدالعزيز بن رشيد.

فهو وصف لعجلان غير مباشر بالعجز فكنى عن هذا الوصف بظاهرة من ظاهراته.

وقال إبراهيم بن جعيثن:

وفـيـهـن جـضـيـعـة نـوامـة ومن عجزها تلقى العرق بجيوبها

فآخر البيت كناية عن عجزها وتكاسلها إلا أنه أضعف هذه الكناية المليحة بالتصريح بالمكني عنه في أول الشطر الثاني والإيماء إليه في الشطر الأول.

ويكثر في الشعر العامي التلميح لـذكر المكني أو ذكـره صراحـة أو المساعدة على تفسير الكناية ذاتها كقول العوني كانياً عن شدة الحرب وكثرة الدخان.

ما نعرف الضحى من كثر خلق الله   وين شمر هل العادات والجابة

وقوله في الخلوج:

شيابكم تضرب على غير موجب   من عقب كبر الجاه تنتف سبالها

كنى في آخر الشطر الأخير عن الذل.

وقال دغيم الظلماوي:

مع كبش مصلاح لك الله نجبه   لا ادبـــر الهين متين العـلابـي

كنى في الشطر الأخير عن المستريح من أعباء الحياة.

وقال ابن ونيان:

مــر هشيم ومـر نــوقــد بجلة   ومــر نبهـرهــا ومــر بــلاشي

فكل جملة في هذا البيت كناية عن العسر واليسر.

وقال ابن جعيثن يمدح أهل الرس:

مـن عــاداتهـم عــز القـصيــر   ولا ينبــح عليــه لهـم كـلاب

فالشطر الأول كناية عن المنعة والوفاء، والشطر الثاني كناية عن الكريم.

وقال سليم بن عبدالحي يرد على هجاء ابن هويدي لمحمد بن سعود وأعمامه:

اخطا وفزت به وساويس شيطان   واسقاه ابو مرة بكاس الصـديد

فأبو مرة كناية عن إبليس لتقبيح اسمه، وكأس الصديد كناية عن قذارة شعر ابن هويدي.

قال أبو عبدالرحمن: والكناية كغيرها من المحاسن البلاغية منها ما هو من ابتكار الشاعر أو من نوادر ثقافته.

ومنها ما هو عرف أدبي شائع كتكنية إبليس بأبي مرة.

وقال إبراهيم بن جعيثن في مدحه لمحمد بن رشيد:

(امين وحيش الدار يخشى ويرتجى).

فجملة وحيش الدار كناية عن المنعة.

وفي البيت إيماء لقول أبي ذؤيب الهذلي:

إذا لم تنفع فضر فإنما　　　يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ومن الكناية عن القرب قولهم: يا قرب سعد من دليل وهما موضعان.

قال عبدالله بن محمد الصبي (مبيلش) يمدح الملك عبدالعزيز رحمهما الله:

هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاه

كنه المهدي ويا قرب سعد من دليل[٢٠]

وقال الشاعر كانياً عن الأصالة والثبات:

وان نشدني قلت ما نيب دعجاني　　　من يمش الوسم من خد المطية

وقال ضيف الله بن حميد يكني عن عشرته القصيرة لزوجته الجديدة:

---

(٢٠) معجم اليمامة ١/٤٤١ و ٢/٢٥.

رعيت لي وسمية مير ما ابطيت   يـا ليتني سجيت فيهـا ليـالي

ومن الكناية عن السرعة لأجل الخوف من الفزع قول شليويح العطاوي:

ياما لمسنـا قرصنـا بالمشـاعيب   وياما دفعناهن ورا الشمس ساعة

ومن أملح الكنايات هذه الكناية عن صيانة النعمة وحسن السياسة:

عصا العز لا تومي بها كل ساعة   خطر على عيال النسا يكسرونها[٢١]

ومن الكنايات عن الإجهاز ومتابعة الشر قول ابن جعيثن:

بعضهن تـلحق الـحمـى مليـلة   تحطك في السموم عن الظلال

قال أبوعبدالرحمن: وهذه الكناية عرف أدبي، فالعامة تقول: ألحق الحمى مليلة، وزاد الحمى مليلة[٢٢].

وقال ابن صويط كانياً عن حلاوة الغاية بعد تعب الوسيلة.

ومن لا يخبث مارده ما شرب ماه   ومن كدر الصافي شرب من زلاله

قال أبوعبدالرحمن: هذا تعميق لقولهم: من لا غبر[٢٣] شاربـه ما دسمه، وذلك من محاسن الأخذ في مقاييس النقد.

وقـال ابن جعيثن كانيـاً عن الضيف وإن كـان أضعف كنـايتـه بالتصريح:

وفيهن من تـرحب بـه وضيفـه   الى حط العصـا هي والنعـال

---

(٢١) الشوارد ٣/١٨٩.

(٢٢) راجع الأمثال العامية للشيخ العبودي ١/٦٠٩.

(٢٣) راجع الأمثال العامية للشيخ العبودي ٤/١٤٥٠ ـ ١٤٥١.

وقال ابن سبيل كانياً عن التماس الحيل والأسباب:

الى عزمت فحط للرجل مـرقاة　　　من قبل يدري بك خطاة الربادي

والعامة تقول: حط لرجليك مراقي على سبيل التحدي.

وقال حميدان الشويعر:

يجي امـور ما يعـرف قيـاسهـا　　　ويــدق دقـة عــوشـز الجــرادة

فالشطر الأخير تشبيه وليس كناية ولو قال:

(يصيـر بهـا عــوشـز الجــرادة)

لكان كناية، لأن في الأول طرفي تشبيه هما دق الناس له، ودق الناس ـ أي ناس ـ لعوشز الجرادة.

وفي الثانية لا ذكر للمشبه وهو الدق وإنما شبه الشخص المدقوق بالعوشزة كناية عن الدق.

بمعنى أن كلا منهما مستهدف.

وبهذا تعرف أن التشبيه من وسائل الكناية.

وقال محمد بن مسلم:

وما الوجه الاطول فتر وعرضـه　　　الى ضاع من يعطيك وجه تعاض به؟

فهذا كناية عن الحياء، وهذه الكناية تركة أدبية فالعامة تقول:

الوجه فتر.

وفي معناه ما هوب وجهي حيالة!

ففي هذا المثل الأخير كناية عن الحياء والسعة معاً.

وقال ابن لعبون:

يضحك على جرع ابرة له وزاروب ومن ضحكته يظهر مقابيلها هيب

قال أبو عبدالرحمن: أصل هذا في أمثال العوام الكناية عن ثقل المعروف والمنة فتارة يكنون عن مجرد المجازاة بقولهم:

من قدم السبت يلقى الأحد.

وتارة يكنون عن إرباء المجازاة فيقولون:

من بلغ إبره طلع هيب.

وبعض أهل القرى يقولون:

من كلا إبرة زقا مخيط!

وابن لعبون نقل الكناية عن غرضها المشهور إلى الكناية عن الانبساط المسرف.

وقال حميدان الشويعر:

عنده لراعي الصاع موس جيد واللي بلا صاع له المكردة

فالشطران كناية عن النفعية سلباً وإيجازاً.

وهذا بيت مليىء بالكناية لحمود بن قويفل. قال:

يا عين من يحري ويذري ويلقى ويدي من القوم الحماقا حقوقها

وقال القاضي كانياً عن مخبر الإنسان وعدم التعويل على مجرد نسبه:

ولا يفتخر من جاد عمه وخاله هي بالهمم لا بالرمم مثل من قال[٢٤]

---

(٢٤) الأمثال للعبودي ٢/٥٧٣.

وقال سعد الحطيم الدوسري:

وانا حداني عنك حلوات الالبان　　لومك على اللي قاعد مستكن

كنى عن الإبل بحلوات الألبان، والكناية هنا وصف للإبل إلا أنها لم ترد لمجرد الوصف بل جاءت للترغيب في الإبل ومدحها.

ويكنى عن الأمهات أيضاً بحلوات اللبن وترد هذه الكنايات تعريضاً بلبن المرضعات.

وقال حميدان الشويعر:

والذي يرتجي الفضل عند اللئام　　مثل مستفزع صاح في مقبرة[٢٥]

والعامة تقول: صياح مقبرة كناية عن تغافل المنادي وتجاهله، وفي ذلك التفات لقول شاعر الفصيح:

لقد أسمعت لو ناديت حيا　　ولكن لا حياة لمن تنادي

ويقرب منه: استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم.

وقال مدوخ بن العمى بن ضمنة:

وصبه على اللي ربعته يدهلونه　　مع دربه الخلفة تضيع ولدها

فالشطر الأخير كناية عن كثرة الأتباع بحيث خفيت المعالم على الناقة الباحثة عن ولدها.

وقال حميدان الشويعر:

لولا رجاله راح ماله صلحة　　ودقوه دق مثل دق ام الجرا

---

(٢٥) الأمثال للعبودي ٢/٧٣٧.

فالشطر الأخير كناية عن كثرة الوافدين من ضيـوف ويكنى بأم الجرا عن الأم وصغارها إذا حلوا ببيت صديق أو قريب اكتسحوا نعمته وقلبوا نظامه.

ومثل ذلك قولهم: دقوا ترابه. كناية عن كثرة التردد وقولهم: حط على بيته جادة.

وقال ابن لعبون:

امك وأبوك وكل ذيك القرابات　　　ما أحد يسد السيل عنك بعباته

قال أبو عبدالرحمن: أصل هذه الكناية عند العامة هكذا (سد السيل بعباتك) تقال على سبيل التحدي كناية عما هو فوق طاقة الإنسان.

وقال حميدان:

واحــذر بـــالأصحــاب بـــطيني　　　انــظر عـينـيـه وحــاجـبـهــا

فالبطيني كناية عن الرجل الأكول وعن الطفيلي.

وقال حميدان:

حــنــاهــا وادعـى رجـليـهــا　　　مــا بين الكتـف وصـرصــوره

قال أبو عبدالرحمن: هذه كناية عن الجماع الغرض منها الإيجاز كقول الشاعر الفصيح:

تـرفـق قليـلاً قـد أوجـعتـني　　　وألصقت قـرطي بخلخـالـهـا

وقال البحتري:

لم يخط باب الدهليز منصرفاً　　　إلا وخلخـالهـا مـع الشنـف

وقول أبـي بكر الطبري:

كسترق اللحاظ إلى عـروس ... وعنـد سواه تضـطرب الحجول

وقوله:

والشأن في ظنك الظن الجميل بها ... وطال ما أوجعت كتفي رجلاها

وانظر إلى كعبها تبصر به ندبا ... من طول ما خدش الكعبين قرطاها[٢٦]

قال أبو عبدالرحمن: وحدثت أن رجلاً كريماً قال:

يا العتيبـي كيف تأخذها طويلة ... كيف تـرقـاهـا وتجني ثمـرتهـا

فأجابه العتيبـي:

يا طويل العمر نـأخذهـا بحيلة ... لين احط رجولها عند قصرتهـا

وقال عبدالله بن ربيعة:

بنـدر إلى لز الحقب للحـزامـا ... حماي زمل مخدرات بالكتـاب

فالشطر الأول كناية عن تأزم الموقف ومثله قول عبدالله اللويحان:

إلا يا نجد يا منتج رجال تعطب المضراب

ترانا درعك الضافي إلى جا حزم كلاب

واعطاب المضراب كناية عن إثخان العدو، وحزم كلاب كناية عن الشدة.

وقال العوني:

يلومني دحش خيـالـه يـغـره ... نوم الصفر يـرث بوجهـه غيارة

فهذا كناية عن كبر الجسم وعن الكسل.

---

(٢٦) هذه النماذج من كتاب الكنايات للثعالبي ص ١١.

وقال العوني كانياً عن السرعة:

يا طارش من فوق سراقة الوطا هميم إلى سارت ذعرها ظلالها

وتستعمل هذه الكناية أيضاً في التورع عن حقوق الآخرين وفي احترام الأوامر الشرعية أو السلطانية فيقولون: فلان يرعبه ظله.

كما تستعمل كناية عن عدم تحمل الأعباء.

وقال ابن جعيثن:

تهتم لهمـومـه وتجـلي همـه صميـل دو في ليـالي شـوبهـا

فصميل الدو كناية عن تبريدها لمصائب زوجها.

وقال ابن جعيثن:

تـروح وتشتكي عنـد المـطوع تقـول للشيـخ عـطني حبـالي

فهذا كناية عن الطلاق:

قال أبو عبدالرحمن: وقد تكون الكناية إخباراً بمعنى خاص عن معنى أعم كقول راشد الخلاوي:

ومن عود الصبيان ضرب بالقنا نخوه يوم الكون يا أبا العوايـد

فهذا كناية عن احتياجهم له في غير الحرب.

وقال ابن جعيثن:

وفي الناس حاوي العلم في زي عابد بلوع البعير وبالغـدير غصـوص

قال أبو عبدالرحمن: أصل هذا قول العامة:

يبلغ البعير ويغص بالماء، ويشبه هذه الكناية قول ابن عباس رضي الله عنهما لشيعة العراق: تقتلون الحسين وتسألون عن دم البعوض!!

ومن الكنايات عن انكشاف السر قولهم:

قال وش اللي ما يبين يا رسول الله قال اللي ما يكون.

وقولهم: ما غط بان. قال الأمير غزالان (محمد بن سعود بن الإمام فيصل):

والناس مثل الناس ما غط بـان   ومن قال أنا الطيب يعابيه ابن من

إلا أنه نقل الكناية عن موضوعها الدارج إلى الكناية عن القوة بعد الضعف.

ومن الكناية عن فقد الشيء قول سعد بن قطنان:

في ليلة نبـح الضـرايـا ونين   ولا زاد إلا عند من لا يبيعون

وقال نبهان السنيدي:

علي ميـح دليكم ليـن تمـتلي   وعلى الله اظهار الدلي من قليبها

قال أبو عبدالرحمن: يقرب من هذا قول أحمد شوقي:

لك نصحي وليس عليك جدالي   آفـة النصـح أن يكـون جـدالا

ويقرب منه أيضاً قول الآخر من وجه أعم:

علي أن أسـعـى وليـس [م]   عـلـي إدراك الـنـجـاح

وقال حميدان الشويعر عن الجوع:

كـان ادهـك بـه عيـر ينكـر   عقب الصمعـا صلف نـهقـه

قال أبو عبدالرحمن: الشطر الأخير كناية عن الطغيان بعد النعمة.

قال أبو عبدالرحمن: ومقضاة ابن درمة تصلح كناية عن أخذ الثأر ولكن حميداناً الشويعر أضعف هذه الكناية بالتفسير. قال:

وخـلي مـقـضـاة ابـن درمـة   مـخـتـلط دمـه بـعـرقـه

وكنى ابن جعيثن الدنيا بسلمى على سبيل الفأل.

قال:

(أرى صرف سلمى دمرت كل عامر)

وتقول العامة:

لا بد صياد الفهود يصاد كناية عن تقلبات الدنيا.

قال ابن جعيثن:

فلا ييأس العاقل والأيام تنقضي   كما قيل لا بد صياد الفهود يصاد

وقال محمد المهادي كناية عن ضرورة الأسفار:

تـرى ظبـي رمان بـرمان راغب   والأرزاق في الدنيا وهو ما درى بها

وقال حميدان:

من بقي معـه مال فهـو غـالي   يكنسون الحصا بالعصا من ثره

فالشطر الأخير كناية عن النفعية.

وقال ابن لعبون:

والكـل هـذا رايم ذا وذا لـه   طيزين هو وايا رفيقه بسـروال

قال أبو عبدالرحن: الشطر الأخير كناية عن الخلة الصادقة ومثله قول العامة:

فلان وفلان مثل زب الحمار ما فيه مفصل!

وهذان بيتان لحميدان الشويعر مليئان بالكناية.

قال:

والعـالم يـدخـل مـا يـطلع سـحـمـا تـأكـل ولا تـحمـى
يـحب الـكـامـد والـجـامـد من مـال الغيـر إلى ولمـا[27]

وكنى حميدان يتجاذب الدلي من البئر عن العهر فقال:

لا تضم الـتي يـطوح طيهـا الضحى وأنت بـالمقبـرة تقبـر

وقال ابن لعبون:

الصـدق يبقى والتصنع جهـالـة والقـد ما لانت مـطاويه بتفـال

فهذا كناية عن عدم الجدوى من الأسباب الضعيفة.

قال حميدان:

وإلى جاك الولـد زملوق خندق ومن نـوم الصفر غـاش صفاره

فهذا كناية عن ربيب النعمة غير الجدير بتحمل الأعباء.

وهذه الكناية تحوير لقول العامة: عشبة غار.

وقال ابن لعبون:

احسب رفيقي يستحي من ظلاله واثره إلى شاف المـواليم خيال

ففي الشطر الأول كناية عن شدة الحياء.

وقال حميدان:

تـرى هـذاك مـا يـأخـذ زمـان كمقلع شيـحـة مـالـه قـرار

(٢٧) راجع الأمثال للعبودي ٢/٦٣٢ ـ ٦٣٣.

والعامة تقول: مقلع شيحة كناية عمن لا قرابة له وعمن هاجر من بلد وليس له فيها ملك.

وقال ابن جعيثن:

قلته وأنا مالي على الناس تكليف   انصح وسيفي مغمد في غلافه

فالشطر الأخير هو محل الكناية ويشبه قول الفصحاء:

هذا رأيـي أعرضه ولا أفرضه.

وقال محمد القاضي كانياً عن التزام الإنسان بوعده:

والرجل بالواجب لسـانه عقـاله   لا قال علم تم لو حال به حال

ومن الكناية عن الانعزال عن الناس قول الشاعر:

طول الجدار وقصرة الرجل نوماس   لا عـاد ما للرجـل داع دعاهـا

ومن الكناية عن النصر والهزيمة قول الشاعر:

أما يجيك الغوش يرثع بنوماس   والا عليه الطير يا مسندي حام

وقد ترد الكناية في مسرد الحكمة ككناية الخلاوي عن وضع الأمور في غير مواضعها بقوله:

شرب على غير الظما بجرح الحشا   وقـرب على غيـر المـودة لاش

وقالت بنت فراج تكني عن إثخان العدو وعن الثكل بقولها:

ان كان ما منكم رجـال مدالي   سبـاع وتـأخـذ الـطاق مـطبـوق

عسى نسـاكم ما تجي بـالعيال   وعسى عليكم جيب الأحباب مشقوق

ومن الكنايات عن التصميم قول عبدالله بن سبيل:

سيل النحا ما ينعدل عن مجاريه   وان عرض السندا ياكود غليانه

والمهتوي طرد المها ما يعنيه كنه على زل العجم بعديانه

وقال حميدان:

دايم شهب ملاغمهم واحدهم يشرب ما بيرة

فهذا يصلح كناية عن أكل الطعام المالح.

وقال حميدان في ابنه مانع:

حاط حرمتين جعل ماهوب زين جعل عقب هذا يهبد الشري

فهيد الشري كناية عن الفقر.

وقال العوني:

إن ساعف المعبود دور الليلة خيله تركز في سماح احرابها

فهذا كناية عن الظفر ومثله قول السعدي البواردي يتهدد الهيضل:

هم عندك صباح تعينا في محلك نكسر عزاوينا

ويريد العوني بئراً في قصر ابن رشيد وقد رأى الملك عبدالعزيز رحمه الله رؤيا منام انه يشرب من بئر سماح فقال عبدالعزيز بن متعب الرشيد يرد على الملك عبدالعزيز:

مهبول يا داير منيرة دونه مزاريق الرماح
ما دام راسي ينقل الما والله ما تشرب سماح

وهذه أبيات لحميدان الشويعر كلها كناية:

واربع ينزلن الفتى للزراج لين تبرى جنوبه بيان صحاح
روشن عالي فوق كل الملا مغلق ما هوته الوجيه السماح
ومكاشخ هدوم بغير القدا أو ذليل يرزق طوال الرماح

اوربـاعيـة فخـرهـا بـالحمـام   هي نفاد الدوا ما تعرف الصياح[٢٨]

وتكون الكناية بالإضافة إلى بعض المكني عنه كقول القاضي:

واليوم يا قلب الخطا فات ما غير   يذرا النفس مني تحملت الاوزار

فهذا كناية عن تورط القلب في العشق، وتورط القلب في غرام وراء غرام ليس بمستحمد في الشرع ولا في العرف، ولهذا كان خاطئاً.

ويكنون عن الشجعان المعتادين إرخاء السيف في المعارك بخطلان الأيدي.

قال مناحي الهيضل:

خطلان الأيدي مـا لهم ميدان   الـخـبـل والـطيـب سـوا

ويكني البدو بأخطل الأذن عن غير النجيب.

ويكنون عمن يعد بأوعاد لا تتحق إما لكذبه وإما لضعف الأسباب بقولهم:

(حط له الدنيا ورق بلا شوك)، (وعطاه القمر في يد والشمس في يد).

قال العوني بما يصلح عكسا لهذه الكناية وهو كناية عن المستحيل:

يا طالبين الحكم مهـلاً ترفقـوا   رويداً ترى قضب النجوم عسار

ويكنون عن الإصرار على الإنكار بقولهم: ازبن طويق.

ويكنون عن الافلاس بقولهم:

ما عنده ما يدبع ذنب الهر.

---

(٢٨) كناية عن بندق لا تقتل غير الحمام.

وقال القاضي:

وكم من بخيـل فـرش الخلق مــالـه
وهـو منه محـروم على نفسـه اتـلاف

كـوصف ابـرة عـريـانـة دب دهـرهـا
وهي تكسي المخلوق من قمش الأصناف

وهذا كناية عن الإيثار وقد أورده الشيخ العبودي بعنوان (مثل الإبرة تكسي الناس وهي عريانة).

وقال: وهو مثل شائع الاستعمال في الشعر العامي النجدي[٢٩].

قال أبو عبدالرحمن: لا أعلم له شهرة في غير شعر القاضي وقد أورده الشيخ العبودي، وذكر أصله من الأدب الفصيح، ويبدو لي أن العامة إن كانت تستعمل هذه الكناية مثلاً فعن طريق القاضي أخذته.

والقاضي تحاشي التشبيه بالشمعة لشهرتها وشبه بالإبرة لندرة هذا الاستعمال عند العامة على أن القاضي حول الكناية من الإيثار إلى الكناية عن تصرف البخيل.

ومثل ذلك الكناية بالشمعة.

قال ابن جعثين:

على ما قيل انا مصباح غيـري ولا ســريت نفسي من خبـالي

ولوح إلى هذا المعنى بطرف خفي محمد القاضي في قوله:

مثل العسل شمعه على الضد مذيوب واشفى منه واحلى لوده بلا ريب

ومن الكناية عن حاجة الإنسان إلى مساعد قول مقحم الصقري:

---

(٢٩) الأمثال ١٣١٨/٤.

الطير لولا كمشة الريش ماهد   لو هو كبيدي الحرار البتيعات
والسيف لولا خمس الأصباع ماقد   لا صار وحده ما شفى القلب باهوات

وقول ابن سجوان:

يمنى بلا يسرى تراها ضعيفة   ورجل بلا ربع على الغبن صبار

ولا تتوهم أن الصقري يصف السيف والطير وأن ابن سجوان يصف اليمنى والرجل بل مقصدهما الكناية بهذه الصبغ الوصفية.

وكنى حميدان الشويعر عن الجوع بأبـي موسى على التشبيه بالموسى الذي يحلق الشعر:

ولقيت اجوع ابو موسى   باني له بيت بالحجرة

وقد تكون الكناية مرادفاً لغوياً لا عرفاً أدبياً، فيضيع المعنى البلاغي كالتعبير بالسخونة عن المرض لدى العامة.

ويقولون: من طاول أطول منه فهو أهبل منه كناية عن الترفع عن مقارضة ذوي السفه واللجاجة.

قال القاضي:

ومن طاول اطول منه ما استر ساعة   يجاهد جنود ينقسم رايها انصاف

وقال الإمام تركي بن عبدالله بن سعود:

ان سايلوا عني فحالي تسرا   قبقب شراع العز لو كنت داري

كناية عن النصر.

والكناية ظاهرة في دارج كلام العامة، وقد أفرد العلامة أحمد تيمور الكنايات العامية المصرية بكتاب خاص فاصلاً لها عن الأمثال، وكتب

سليمان محمد سليمان فصلاً طويلاً جيداً عن الكناية في عامية مصر بكتابه العامية في ثياب الفصحي.

ودرج بقية الباحثين على دمج الكنايات مع الأمثال لأن المراعى في المثال أن يكون سائراً ويقال في مناسبته والكنايات بهذه الصفة.

فمن كنايات العامة في نجد قولهم:

انقلب الغزل صوف كناية عن النتائج العكسية.

ويقولون في الفخ أكبر من العصفور كناية عن حدوث أمور أخطر من المتوقع.

ويقولون: فلان ما يدري هي تطشش والا تجغم كناية عن البلاهة.

ويقولون: على عينك يا ابو تاج [وهو السلطان] كناية عن الأمر العلني.

ويقولون يطلب طلي وفي بطنه علي. كناية عن الطمع والتنطع ولعل هذا يشبه قول ابن عباس رضي الله عنهما لأهل العراق:

تقتلون الحسين وتسألون عن دم البعوض.

ويقولون: فت من بعره وحط على ظهره كناية عن مقاضاة الإنسان من ريع سلعته وما أشبه ذلك.

ويشبه هذه الكناية قولهم: أوفاه من لحم ثوره.

ويقولون حط راسك في القلص كناية عن الاتكالية وعند عوام مصر حط راسه في الجراب كناية عن معنى آخر[٣٠].

---

(٣٠) انظر الكنايات العامية لأحمد تيمور ص ١٩.

ويقولون: خلق الله حسن. كناية عن السماجة والقبح فكأنهما تحرج مقدم.

قال سليمان بن علي:

جل الخالق يا خشم له ... لو هو يشوفه ما شاله

ويقولون: حوفك يا الرفلا وكليه. كناية عن جناية الإنسان على نفسه.

ولعل هذا يشبه من الفصيح قولهم:

يداك أو كتا وفوك نفخ

ويقولون: راح تعبي كحل باكية ـ رحنا دهنة محالة ـ رحنا صلحة. وكل ذلك كناية عن ضياع الجهد وفداحة الخسارة، ومثله قولهم: كلام يطير به الريح.

قال ابن أبي حجلة يهجو الصفدي:

نسب المعاني في النسيم لنفسه ... جهلاً فراح كلامه في الريح[٣١]

ويقولون: كلام الليل يمحوه النهار كناية عما لا أثر له وهو مأخوذ من القرآن الكريم.

قال أعرابي من بني ربيعة كما في جذوة المقتبس:

كلام الليل مطلي بزبد ... إذا طلعت عليه الشمس ذابا

ومثله قول ابن جويعد:

كل من كثر هرجه صار ها ذورة ... من يشيله الى سمر مع المساية

(٣١) الكنايات العامية ص ٢٧.

ويقولون: يا من عين الزبدة على خشم الذيخ كناية عن طلب الميؤوس إذا كان مستحيلاً.

ويقولون: فلان يسرق الكحل من العين. كناية عن مهارة السارق وأنه يسرق أي شيء.

قال شاعر الفصيح:

ما زال كحل النوم في ناظري　　　من قبل إعراضك والبين
حتى سرقت النوم من ناظري　　　يا سارق الكحل من العين(٣٢)

ومن كناياتهم عن مخالفة الواقع للمراد قولهم: بغاها طبة وصارت طيحة.

ويقولون: جنة حمار ثغب وثيل كناية عن النعمة.

ويقولون: عوافي كناية عن ضعف العدو كقول الشاعر: ابشر بطول سلامة يا مربع.

وقد كان بعض أهل البلدان يغنون غناء الحرب في مجلس الملك عبدالعزيز رحمه الله وقد حار شاعرهم عند قوله: (جنيناك با ولاد الحمايل).

ولم يفتح عليه بغير هذا الشطر وكان يحضر المجلس فهد بن مقرن من آل صالح من بني زيد أهل شقراء فاندس في صفهم وأملى عليهم هذا الشطر:

(يوم انها صارت عوافي)

---

(٣٢) الكنايات العامية ص ٣٣.

وظلوا يغنون بهذا الشطر ولم يعلموا أنه عليهم لا لهم فلما علموا بورطتهم هموا بضرب ابن مقرن لولا أنه استجار بالملك عبدالعزيز ولم يفطنوا إلى هذه الورطة إلا من خلال ضحك الملك عبدالعزيز المتكرر.

ويقولون عرفها وهي طايرة. كناية عن البديهة.

ويقولون: من لا غبر شاربه ما دسمه كناية عن وجوب الحرفة والعمل.

ويقولون: ما خلى في جلده مخرز كناية عن الإسهاب في الغيبة ومثله: قطع جلده.

ويقولون: صيح إذنه كناية عن الكلام في الغائب بخير أو شر.

ويقولون: فلان تفوحه الخوصة كناية عن عدم التحمل ومثله عند المصريين: غرق في شبر مية.

ويقولون: رضح على راسه العبس كناية عن الصبر على المضض ومثله عند المصريين كتم الدم على القيح.

ويقولون: بوله بالقطنة كناية عن نجابة العرق.

ويقولون: حرك تبلش كناية عن التورط في أمر لا نهاية له، ومثله قولهم: يحفر في نفود.

ويقولون: ولم العصابة قبل الفلقة كناية عن التحسب للأمر قبل وقوعه.

ويقولون: الدبس ما يلحق إلا شدق لا حسه كناية عن نزاهة البرىء رغم المقالة.

ويقولون: عض ريام كناية عن الإلف رغم التحرش.

ويقولون: وراه النجوم في القايلة كناية عن شدة المضايقة(٣٣).

ويقولون: خلها تاطا والله ياقا. كناية عن العمل والتوكل معاً.

ويقولون: اذبح تربح. كناية عن اغتنام الفرص.

ويقولون: كل ادرى بظلما داره كناية عن التفرد بالعلم ومثله في الفصيح: أهل مكة أدرى بشعابها.

ويقولون: جلبك الجلاب واستافا الثمن. كناية عن حصول المرء على ماله أو غريمه.

ويقولون: ياكل اللي يصيح كناية عن عدم التحرج.

ويقولون: ما يهوش ولا يلقط حصى كناية عن عدم المنفعة وقلة الجدوى.

قال الثعالبي:

فإذا كان فضولياً داخلاً فيما لا يعنيه متكلفاً ما لا يلزمه قالوا: هو وصي آدم على ذريته.

وقد توضع هذه الصفة موضع المدح كما قال الشاعر:

وكأن آدم حين حم حمامه   وصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم   وكفيت آدم غلة الأبناء(٣٤)

ويقولون: ما يقول لا ولا يقول كمكم كناية عن الشجاعة والكرم.

ويقولون: طقة في راس غيري مثل صدع في جدار كناية عن الأنانية كقول أبي فراس:

(إذا مت ظمآنا فلا هطل القطر)

---

(٣٣) راجع عن أصل هذه الكناية كتاب الكنايات العامة ص ٦٧.

(٣٤) الكناية ص ٣٧.

وعكسه قول أبي العلاء المعري:

فلا هطلت علي ولا بأرضي   سحائب ليس تنتظم البلادا

ويكنون عما لا نفع فيه بطقعة مصلوخ ـ زب طين ـ خصى.

ويكنون عمن حياته غير ناعمة بقولهم:

ابن جبر من طيز امه إلى القبر.

ويقولون عمن يكيد في الخفاء كيداً خطيراً:

داب ثرى.

ويقولون عن الجهد الضائع: عرس ختلا.

وختلا عجوز شمطاء تمني نفسها بالزواج فتقيم في كل فترة حفلة زواج فإذا انتصف الليل ولم يصل العريس المزعوم قوضت حفلها وقالت:

جعله للضربة سافر!!.

ويكنون عما يثير من الأمور الحقيرة بقولهم: القراد يثور البعير. قال عبيد بن علي بن رشيد:

عندك خبر ما حركوا طبلة الراس   مار البعير اقزاه مشي القراد

ومن كناياتهم في عكس ذلك قولهم: مادري عنك يا اللي تغمز في الظلام.

وقولهم: قالت البقة للثور تمسك تراني ابا طير قال: والله مادريت إنك فوقي.

ومثله قول العوني:

ان كان انا اخطيت هو من يدمح الخطا   طويق ما ثقله حافي ونعال

ومن كناياتهم عن جدوى الأسباب الضعيفة قولهم: العصفور يهزع الرشا.

ومن كناياتهم عن تعالي الوضيع قولهم:

لابوك هتامة عافتها سعيدة.

وسبب ذلك أن أحداً أمراء هتيم تهددته مملوكته سعيدة فقالت:

والله إن خليتك إني ختيمية (هتيمية)، فقال: لابوك هتامة عافتها سعيدة!!.

* * *

وعن الظاهرات البلاغية أتناول ها هنا المبالغة والإغراق ممهداً بأعراف أصحاب الأدب الفصيح.

فالغلو في اصطلاحهم غير ممكن عقلاً ولا عادة.

والغلو مقبول فإن أفضى إلى الكفر كان قبيحاً مردوداً.

وأحسن الغلو ما دخل عليه ما يقربه إلى الصحة ككاد ولو ولولا.

والغلو يكون عملاً خيالياً إذا لهث وراء المستحيل فلا يعدم أحد الحسنيين لأنه إما مجسد لفكرة شعورية بإيحاء مليح دون تعبير مباشر كقول الشريف الرضي:

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيه العشاء بالسحر

فلو أراد وصف قصر العشاء حقيقة لكان هذا الغلو ساجاً ولكنه أراد وصف شعوره الذي يقصر حقيقة وإن كان الزمن طويلاً في الواقع.

وإما أنه لا يجسد فكرة بصورة مقبولة لبعدها عن الواقع بيد أن هذه

الصورة جميلة إن جردت عن هدف الشاعر لغرابتها عن التخيل إلا لخيال خصيب كقول ابن دانيال يصف جسم العاشق الناحل:

ورق فلو حركته الصبا لصار نسيما وعادت قضيبا

قال أبو عبدالرحمن: فها هنا قيمتان فنيتان لا تفسد إحداهما لفساد الأخرى.

فالقيمة الأولى: تجسيد فكرة النحول بأي تشبيه نادر يقربه من الواقع، وهذا ما أخفق فيه ابن دانيال، لأن هذا الجسم الذي ذكره لا وجود له في الواقع.

والقيمة الثانية: براعة ابن دانيال في تخيل جسم بهذه الصورة وهذا ما لا يخطر في كل تخيل، فالقيمة ها هنا جمالية خيالية بحتة.

وشيخنا الإمام ابن حزم رحمه الله لم يحكم في مثل هذه النماذج إلا القيمة الأولى فقال:

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإكثار منه [أي الشعر] وإنما ذلك لأنه كذب إلا ما خرج عن حد الشعر فجاء مجيىء الحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، وأما ما عدا ذلك فإن قائله إن تحرى الصدق فقال:

الليل ليل والنهار نهار والبغل بغل والحمار حمار
والديك ديك والحمامة مثله وكلاهما طير له منقار

صار في نصاب من يهزأ به ويسخر منه ويدخل في المضاحك، حتى إذا كذب وأغرق فقال:

ألف السقم جسمه والأنين وبراه الهوى فما يستبين
لا تراه الظنون إلا ظنونا وهو أخفى من أن تراه الظنون

قـد سمعنا أنينـه من قـريب فاطلبوا الشخص حيث كان الأنين

لـم يعش إنـه جليـد ولكـن ذاب سقمـاً فلم تجده المنـون

حمق وملح[35].

ولمراعاة القيمة الأولى قال: (حمق)!

ثم لمح للقيمة الثانية فقال: (وملح).

ومما يؤكد استقلال القيمة التحليلية أن تجسيد فكرة رقة العذارى قيمة فنية بأي تشبيه أو وصف يقرب الفكرة إلى العشق الجسدي الصرف فإذا كانت هذه الصورة لا تستثير شهوة الجسد سقطت القيمة الشعورية وبقيت ملاحة الصورة الخيالية كما نجد في قول النظام:

تـوهمـه طـرفي فـآلم خـده فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصـافحـه كفي فـآلم كـفـه فمن صفح كفي في أنامله عقر

ومـر بذكـري خاطـراً فجـرحتـه ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

وقد علق الجاحظ على ذلك بقوله:

هذا لا ينبغي أن يناك إلا بأير من الوهم.

وسمع النظام قول أبـي العتاهية:

إذا هـم الـنـديـم لـه بـلحظ تمشت في محـاسنـه الـكلوم

فقال: ينبغي أن ينادم هذا أعمى!

ومن غلو النظام الذي لوح إليه ابن حزم قوله:

ظـبـي بـدا يـأنس بـالإنس يـجـرح بـالـلحظ وبـالـلمس

---

(٣٥) التقريب ص ٢٠٦.

تحار عين الشمس في وجهه كما تحار العين في الشمس
لو صاح بالميت على غفلة أجابه الميت من الرمس

وقوله:

رق فلو بزت سراويله علق بالجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكي الإيماء بالطرف

ومن غلو النظام الذي لوح إليه ابن حزم قوله:

نظرت إليه نظرة فتحيرت دقائق وهمي في جليل صفاته
فأومى إليه الوهم إني أحبه فأثر ذلك الوهم في وجناته

وقوله:

حركات الضمير تؤثر في الخد [م] ويدميه وهم لحظ العيون
رق حتى لو لامسته أذابته [م] بإيمائها يد المكنون

ولمراعاة القيمة الثانية صرح البلاغيون بأن الغلو يستحسن وإن لم ترد فيه أداة التقريب لأنه تضمن نوعاً حسناً من التخييل، ومثلوا له بقول المتنبي:

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا[٣٦]

قال أبو عبدالرحمن: أعد بيت أبي الطيب هنا مبالغة لا غلواً، لأن الغبار كثر فأوهم البصر أن الرجل تسير عليه.

ولقد راعى ابن معصوم القيمة التخييلية فقال:

ومن الغلو المقبول، ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول

---

(٣٦) العنق: ضرب من السير.

أبـي الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلي المعروف بابن المحتسب من قصيدة:

أمــر بـالكــرم خلف حـائــطه تــأخـذني نشــوة من الــطرب
أسكر بالأمس إن عـزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب

فإن السكر في الأمس للعزم على الشرب في الغد محال، لكنه مقبول لإخراجه مخرج الهزل والخلاعة، وذلك مما تميل إليه الطباع[٣٧].

وأكد هذا بقوله بعد حشد عدد من الأمثلة:

فهذه الأمثلة كلها من نوع الغلو الذي لم يؤت فيه بأداة التقريب، ومنها البديع المستحسن، والمقبول غير المستهجن كما ترى، فظهر لك أن حسن الغلو غير مقصور على ما قرب من الإمكان بأداة التقريب كما زعم ابن حجة في شرح بديعيته[٣٨].

أما الغلو المخرج إلى الفسق أو الكفر أو العلمانية المتعمدة فلا ننظر إليه بأدنى قيمة فنية[٣٩] لأن القيمة الجمالية فضلة بالنسبة لإيجابيات الفكر، وليس هذا الحكم من فحيح الزمن الغابر في مباهج القرن العشرين كما يقول المتسرعون، فهؤلاء أدباء الشيوعية والبعثية يقدمون إيجابياتهم على جماليات الفن في نقدهم من واقع أديلوجيتهم الفكرية.

ولن أطيل في استجلاء سخافة المبالغات في هذا السفر اكتفاء برصد لي نشرته بعنوان (الضحك على الأذقان) بأحد أسفار كتابـي الفنـون الصغرى.

---

(٣٧) أنوار الربيع ٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٣٨) المصدر السابق ٤/ ٢٤٤.
(٣٩) انظر المصدر السابق ٤/ ٢٤٥ ـ ٢٥٦.

فأنت ترى أن الإغراق والغلو يدوران عند البلاغيين حول الإمكان عقلاً وعادة.

وقد شطحوا فجعلوا ما كان ممكناً عقلاً هو ما تعلقت به قدرة الله يوضح هذا هذا النص لابن معصوم عند استعراض مستملح الإغراق حيث عد ضمن ذلك نوعاً من الغلو فسماه مبالغة.

وقول الآخر مع بديع التلميح، وهو معدود من محاسن شواهد هذا النوع:

فلو أن ما بـي من جوى وصبابة   على جمل لم يبق في الناس كافر

يريد أنه لو كان ما به من الحب على جمل لنحل حتى يلج في سم الخياط فيخرج الكفار من النار، لأنه تعالى قال ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فلمح إلى الآية بناء على ظاهرها، وإلا فالمراد بها التأبيد. قالوا: ونحول الجمل حتى يدخل في سم الخياط غير مستحيل عقلاً، إذ القدرة صالحة لذلك، لكنه ممتنع عادة[٤٠].

قال أبوعبدالرحمن: هذا من الغلو لا من الإغراق لأنه مستحيل عقلاً إلا أن شطحة ابن معصوم أحوجتني إلى رسم هذه الملامح:

١ ــ أن المستحيل العقلي الذي يجب مراعاته في تحديد قيم الأدب الفنية لا ينظر إليه بمنظار القدرة الإلهية لأن قدرة الله مهيمنة وإنما ينظر إليه من مذخور التجربة البشرية فليس في معهود الحس البشري أن جملاً ولج في سم الخياط فهذا معنى الاستحالة عادة، وليس في تصور العقل أن هناك وسائل من الممكن أن تجعل الجمل يدخل في سم الخياط إلا بتغيير هوية الجمل فهذا هو المحال العقلي.

(٤٠) أنوار الربيع ٤/٢٢١.

٢ ــ المحال عقلاً وعادة في هذا المثال ليس هو دخول الجمل في سيم الخياط، وإنما هو كون الجمل في هذا الحجم من أجل الصبابة.

٣ ــ المحال عادة أمر نسبي فقد يكون محال عادة لدى جيل ما ليس محالاً في جيل بعده لتقدم وسائل المعرفة البشرية.

وللغفلة عن هذه الملامح رأيت البلاغيين يعدون في الإغراق شواهد هي من نماذج الغلو كقول عمر بن الفارض:

كأني هلال الشك لولا تأوهي ... خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

فأي إمكان عقلي في هذا؟.

نعم قد يرى شبح الناحل من بعيد كهلال الشك إلا أن مسافة بعده إن كانت بحيث يسمع تأوهه فلا يمكن أن يرى كهلال الشك.

إنما مثال الإغراق الصحيح قول عمرو بن الأيهم:

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

فالعقل يتصور وسائل بشرية ممكنة تلاحق الجار حيث ما مال بالكرامة.

فهو ممكن عقلاً، وليس ممكناً عادة لأن ظرف القائل ابن الأيهم وأبناء جيله لا تمكنه من تحقيق هذا الادعاء.

والإغراق في عرفهم ادعاء الممكن عقلاً المستحيل عادة.

وقد توجد قيم أخرى تسقط القيمة التخييلية كقول ابن حجاج:

وراحة لو صفعت حاتما ... علمت الجود قفا حاتم

فجلال حاتم في القلوب يسقط كل قيمة فنية تهين هذا الجلال.

وكما خلط البلاغيون بين نماذج الإغراق والغلو خلطوا بين المبالغة والإغراق فأورد ابن معصوم من شواهد الإغراق قول الشاعر يصف مليحة سمعت صوته:

لو خليت لمشت نحوي على قدم   تكـاد من رقـة للمشي تنفـطر

فهذا ممكن عقلاً وعادة إلا أنه مستبعد، وهذا هو حد المبالغة.

وبعكس ذلك عدواً بيتاً من الغلو في المبالغة وهو قول ابن حجاج:

وراحـة لـو صفعت حـاتمـا   علمت الجـود قفـا حـاتـم

فتخلص من هذا أن في اصطلاح البلاغيين ثلاثة فروع هي:

١ ــ المبالغة وهي الممكن المستبعد عقلاً وواقعاً.

٢ ــ الإغراق وهو غير الممكن عادة الممكن عقلاً.

٣ ــ الغلو وهو غير الممكن عادة وعقلاً.

قال أبو عبدالرحمن: أحب ها هنا أن أضبط المصطلح من واقع لغوي.

فأما الغلو فمدلوله لغة مجاوزة القدر.

وأما الإغراق فمدلوله اللغوي الانتهاء في شيء يبلغ أقصاه وأما معنى بلغ فالأصل فيه لغة لاوصول إلى الشيء[٤١] والمبالغة هي محاولة الوصول إلى الشيء قال اللغويون: بالغ في أمره مبالغة اجتهد ولم يقصر[٤٢].

قال أبو عبدالرحمن: من هذا الواقع اللغوي أقترح أن يكون الغلو

---

(٤١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٧/٤ وص ٤١٨ و ٣٠١/١.

(٤٢) تاريخ العروس ٦٥/٥.

مصطلحاً على ما يسميه البلاغيون غلواً وإغراقاً، لأنهما مجاوزة للحد ويكون الغلو نوعين: غلو في العادة وغلو في التصور.

أما المبالغة في اصطلاحهم فمقيدة بشرطين:

(أ) أن يراد بها منتهى الوصف على سبيل الادعاء.

(ب) أن يكون هذا الادعاء ممكناً في العادة أو تصور العقل وبهذا الشرط ارتضى بعضهم أن يسميها تبليغاً وسماها ابن المعتز الإفراط في الصفة.

قال أبو عبدالرحمن: الاصطلاح بالمبالغة هنا صحيح لأن المدلول اللغوي يعني محاولة الوصول إلى الشيء، وأصح من هذا أن يصطلح على الغلو والإغراق والمبالغة بمصطلح واحد هو الغلو أو الإفراط ويكون الغلو على ثلاثة أنواع:

١ ـ غلو في ادعاء الممكن المستبعد (ما يسمونه مبالغة).

٢ ـ غلو في ادعاء غير الممكن عادة (ما يسمونه إغراقاً).

٣ ـ غلو في ادعاء غير الممكن عادة وعقلاً (ما يسمونه غلواً).

والغلو في ادعاء الممكن قد يعرف من حالة القائل لا من مقالته كقول حسان بن ثابت:

أما النهار فلا أفتر ذكرها والليل توزعني بها أحلامي

فمن المعتاد تذكر المحبوب خلال النهار، ومن المعتاد خطور طيفها في الأحلام ولكن هذا لا يكون طول الليل وطول النهار.

ولو كان الشاعر من المصطلحين المشهورين لقيل هذا حقيقة.

ولقد كان جمهور الفقهاء وبعض من تنقصهم الحاسة الفنية ينكرون

الغلو بفروعه الثلاثة ويرونه أداة تشويه لا تشويق ويرددون قول حسان بن ثابت:

وإن أشعـر بيـت أنت قـائـله   بيت يقـال إذا أنشدتـه صـدقـا

وربما استدل بعضهم بالغلو السامج الوارد في الأدب العربـي.

والواقع أن الغلو حسنة فنية بشرطه الجمالي حسب الومضات التي مرت في صدر هذا البحث.

والمعاصرون من النقاد حملوا الصدق الذي نادى به زهير على الصدق الفني.

ولا ريب أن الحقيقة الصادقة تحسن ويتشوق لها إذا عبر عنها بأسلوب أحد فروع الغلو.

ولمحاسن الغلو أصبح مقياساً نقدياً لدى فحول الشعراء فقد استدرك النابغة على حسان اختفاء التحلية بمحسنات الغلو في قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى   وأسيافنا يقـطرن من نجدة دمـا

وأصبح من المسلم به لدى متقدمي الأدباء قولهم:

أعذب الشعر أكذبه.

هاتان دعويان حول الشرعية الفنية للغلو نترك الحكم فيهما لذائقة القارىء من خلال النماذج الأدبية الكثيرة.

إلا أن حساناً المنادي بالصدق هو القائل:

لو يدب الحـولي من ولد [م]   الـذر عليهـا لأنـدبتهـا الكلوم

فكان بهذا رائداً لمبالغات النظام الآنفة الذكر.

* * *

وكل ما مر كاف للتوطئة عن الغلو وفروعه في الشعر العامي، وها هنا أقرر أن الغلو المفضي إلى الكفر لا يوجد في الشعر العامي النجدي بإطلاق، بل لا يوجد الكفر في كلامهم ولو في غير باب الغلو باستثناء بيتين من ورطات الشاعر محمد بن هويدي الصقري قالهما يعاتب ربه عندما انتصر الإمام عبد العزيز بن سعود على ابن رشيد(٤٣):

لـولاك رب الناس قلنا يهودي　　　فعلك سرف تفضيل ناس على ناس
يـا حيف يا عـداد رمل النفـود　　　ترضى لد سمين الشوارب بالاتعاس

قال أبو عبدالرحمن: هذا كفر صريح وليس في بيئتنا من يعذر بجهل وإن كان أشد الناس عامية، وأرجو الله أن يكون أحسن التوبة من هذا الكفر قبل أن يلقى ربه فإن شيوخ تلك الأجيال من العوام ممن يؤسف عليهم.

ونحمد الله أنه لا يوجد من الكفر غير هذين البيتين في جميع الشعر العامي النجدي أما الشعر العربـي الفصيح فمليء بالشطحات قـديمه وحديثه.

أما سوء الأدب مع الأنبياء وخيار الأمة فلا يكاد يوجد، بل إنني أدركت أشياخاً من العوام لفرط تحرجهم يكعون عن رواية ما لو تأملته لم تجد فيه ما يجرح العقيدة كغلو ابن سبيل في مدح محمد بن رشيد بهذا البيت:

وهو خاتم الشيخان لا شيخ بعده　　　اشـارة سميه نـزله بـالـرسـايـل

(٤٣) من أهل المجمعة ومن شعراء آل رشيد وشعره لم يطبع منه شيء وكان معادياً للبيت السعودي عداء أعمى فأوهى قرنه ولم يضر قلعة العز.
توفي سنة ١٣٢٦هـ.

وإنما يستقبح قول إبراهيم بن جعيثين في مدح عبدالعزيز بن رشيد:

معفي حمى نجد له الحمد والثنا إلى لبس شغل النصارى قموعها

قال أبو عبدالرحمن: هذا عرف شرعي لا يتوجه به إلا لله سبحانه وتعالى. ومما يستنكره العامة قول مطوع نفي في والده:

كل ما ريضن واشفيت في قضبهن قيل جدك تنومس بالفحم والمطارق

ول عود نحاني ول لاجيت جنة جعل يقطع شفاتك من عراه الوثايق

وأكثر ما في الشعر العامي من الغلو هو ادعاء الممكن عادة وعقلاء وإنما كان غلواً لأنه خلاف الواقع.

كقول عبدالله بن ربيعة:

ان دك به هاجوس ما يسمع الطوب وان انتبه ما جابت الورق جابه

ومع أنه لا بعد للخيال هنا إلا أن الروعة الفنية في المقابلة بين الحالتين، وزاد حسناً أن كل طرف من طرفي المقابلة ورد بصيغة الكناية.

ويزداد شغف النفس بالغلو إذا لاحظنا أنه ليس المراد مجرد التخيل وإنما المراد تجسيد حالة شعورية كقول ابن جعيثن:

تسمعوا وصفه وهذا وجوده ياطا بمخمص منهن الروح تنذاب

فالروح لا تذوب لهذا، وإنما لهذا المرأى إثارة شعورية بلا ريب.

ومن التعبيرات العادية في هذا الباب قول ابن سبيل:

وانا الجا من حدا والدينه واهدى من العبد المليك الاديب

ومن الادعاءات المقبولة المعبرة عن الذهول قول صالح السكيني:

الى نظرتني طاح ما كان في يدي خضوع ولا تلام لو طاح ما بها

ويحلو الادعاء ـ حتى يكاد ينسى ـ إذا تحيل في إخفائه كقول سعود بن محمد:

عساه لي تكفير ما شافت العين عساه امان من عماها رمدها

ولو قال بكيت حتى أصيبت عيني بالرمد لكان هذا ادعاء مباشراً لا قيمة له.

ومن الادعاءات العادية قول محمد بن هادي:

حريبنا ما يمرح من الليل مغلوج الناس قد ناموا وعينه مقزاة

وقوله:

من شافنا بالحلم يقعد من النوم وان شافنا بالعلم بطنه يهله

وإنما يحلو بالمقابلة.

ومن الادعاءات التي ليس وراءها قيمة فنية قول ابن جعيثن في محمد بن رشيد:

محمد ضفى حكمه من الطور واليمن والجوف والمشهد وبلدان قابس

فليس في هذا صدق تاريخي ولا صدق فني.

ومن الادعاءات غير الموفقة قول محمد بن هادي:

انا جنودي كثر جوج وما جوج حريبنا لو هو بعيد نصيناه

فالتغني بالكثرة ليس من مفاخر العرب.

قال السموأل:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

وقال شافي بن شبعان شيخ بني هاجر:

حنا شوي وحاميتنا القرامة　　　قطاعة ننطح ولو كملوا يام

ثم إن التشبيه بجوج ومأجوج أتاح فرصة للشريف سلطان ليقول:

فان كان قومك كثر جوج وماجوج　　　كفرت بالطاغوت وآمنت بالله

وكل غلو فهو ادعاء لما لم يكن سواء أكان ممكناً أم مستحيلاً، ويدخل في ذلك ادعاء ما كان الأمر بخلافه كقول ابن جعيثن في عيسى بن خليفة:

«هو وايا الصخا خلقوا بساعة»

ومن الادعاءات العادية قول ابن جعيثن في الشيخ عيسى:

فلا والله نلقى له بدايل　　　وحيد العصر ما له فيه ثاني

ومن الادعاءات العادية قول ابن جعيثن:

يوم صرت اليوم في عقل الرضيع　　　ياكل الناقة وتشبعه الدباة

وإنما يحلو بالمقابلة بين الشره والقناعة.

وقول أبو زويد الشمري:

اللي قرونه كسرن المشوط　　　شقر عكاريش تخطف عقوبة

فهذا ممكن مستبعد.

ويلصق الادعاء بالقلب إذا شفع له مساعد في آخر كأن يرد على سبيل الكناية كقول أبو زويد:

راعي الجحش شره على طرح خيال　　　متحزم فوقه بدرعه وطاسة

ومن الادعاءات العادية قول متعب الحمود العبيد الرشيد:

راس على الصكات عدى على ايوب بالصبر والايقان والاحتساب

وقول سرور الأطرش:

انا اليوم ما تقوى عظامي تقلني كما السيف يومى به بغير قضاب

فهذا يحكم بادعائه من رؤية حال الشاعر لا من سماع مقالته إذا تجرد المقال من دلالة سياق.

ومن الادعاء قول العوني في ابن سعدون:

ولو قاسى ما قاسى من الحرب والقسا ضلع الينوف يحط ركنه شظايف
ولو كثروا الشيخان ما همب مثله ولو جابت الخفرات ماله وصايف
وان عد بالدنيا شجاع واحد اشارت وشامت لعجمي الطوايف

ومما اجتمع فيه الغلو والإغراق باصطلاح البلاغيين قول مطوع وشيقر:

خليلي لو يرعى الجراد رعيته اهظله من حشمته ورضاه
خليلي لو يزرع زريع سقيته من الدمع لو زل السحاب بماه
خليلي لو يبرز على الشري ريقه غدا سكر والتاجر يزيد شراه
خليلي لو ياطا على قبر ميت بامر الولي حاكاه حين وطاه

قال أبو عبدالرحمن: ليس في هذه الأوصاف المدعاة إثارة للشعور وإنما هي مداعبة للخيال، وربما تضاعف حسن بعضها بما فيها من كنايات.

والواقع أن الغلو داخل في معظم فروع البلاغة إلا أنه يتميز بادعاء ذات الوصف فإن كان المدعى الشبه خرج عن ضروب الغلو، وإنما يتصور الغلو في التشبيه المقلوب لأنه ادعاء للصفة. أما التشبيه غير المقلوب فهو ادعاء لتقريب الصفة.

ولهذا ترى الادعاء إذا تحقق أصبح وصفاً لا تشبيهاً كقول بركات الشريف:

بيوم الجوزاء يستاقد الحصا　　　وتلوذ باعضاد المطايا جخادبه

فإذا صح أن يوم بركات هكذا فالبيت وصف واقعي، وإذا صح أن يومه ليس هكذا فهو غلو وهو ادعاء ممكن.

وقد يقترن بالبيت ما يفسد قصد الشاعر إلى الادعاء كقول مشعان بن هذال يصف القصر الخراب:

لو يدهجه وبل الثريا ويسقيه　　　ويمطر بياقوت ومسك سحابه
ما ينبت النوار لو سال واديه　　　ملح وجغجاف هيار جنابه

لأن نزول الياقوت والمسك لا ينبت الأرض المنجاب فضلاً عن السبخة.

وهذا البيت وما يشبهه من نماذج في العامي أو الفصيح يجب أن يتخذ لفظ المبالغة مصطلحاً خاصاً له، فليس ها هنا غلو، لأن السبخة هذه صفتها في الواقع، وإنما ها هنا مبالغة في تغيير السبخة عن طبيعتها بأبلغ الأسباب.

ومثل هذا الذي يجب أن يسمى مبالغة تسمية حقيقية قول عليا من الدلابحة:

ما أنساه لين الناس تنسى التعاليل　　　والا ان راعي الغرس يترك وداياه
يترك ودايا حومة كنها الليل　　　كب العذوق الصفر ما هو بمشهاة

فليس في هذا غلو فكل ذلك ممكن غير مستبعد أما واقع قصر مشعان فليس ممكناً فحسب بل متعين.

وإنما بالغت عليا في تذكرها لمحبوبها بتحديد أنموذج للتذكر يدل على أنها لن تنساه أبداً.

ويدخل هذا المعنى الجديد للمبالغة في تقصي أوصاف المشبه به ولعلني إن شاء الله أتناول موضوع التشبيه في أحد أسفار هذا الكتاب.

وحسبي هنا أن أضرب المثال بنوع يسمونه التوجد كقول مرسا العطاوية:

يا تل قلبي تل حبل النواعير على ثلاث حيل فيهن زرقا
تجاذبنه مبعدات المصادير فيما يحدرنه الى مير يرقى
ولجتي لجة ثلاث على ضير الحر فوق كبودهنه تعرقى
حيرانه ضاعن بين المقاهير غدن بين اسلاق روق وبرقا

فها هنا ظاهرتان:

أولاهما: التشبيه وقد أسلفت أنه ليس من الغلو.

وأخراهما: حصر أوصاف المشبه به وليس في هذا غلو وإنما هو مبالغة ـ بالمدلول اللغوي ـ في حصر صور التشبيه التي تجسد الصورة في طرفي التشبيه.

وينطبق هذا المصطلح الجديد للمبالغة على الإلحاح على الصورة كما في شعر ابن الرومي وكما في قافية النجفي في قصيدة النجم وهو تشبيه شيء بعدة أشياء أو تشبيه كل جزئية من شيء بشيء.

فهذا بالمدلول اللغوي مبالغة في التشبيه.

من ذلك قول مطوع نفي:

باونتي ونة ثلاث مفاريد وثلاث محال وسبعة ذيابه
وثلاث خلج كل أبوهن مواليد وحمامتين وثالثتهن ربابة

على عشير صابني منه تنكيد　　يكيدني مير الله اللي رمى به

ومثله قول جمعان البيد:

يا ونتي والليل قد فات ثلثيه　　ونة صويب به صواب يخله
طقه خصيمه بين مقرن ثناديه　　بمسوبع نثر الدما عادة له
حاسوا عليه عداه والكل باغيه　　عليه نفس من قديم مغلة
رموه تحت الخيل والدم غاشيه　　وخلي طريح ما لقى من يشله
يا وجد حالي وجد من مات غاليه　　أو وجد من جالي وفارق هل له
جرمه كبير ولا يفكه محاميه　　متهم وقد بانت عليه الأدلة

وها هنا أنموذج آخر لمطوع نفي وهو قوله:

يا راعي الردة تمسح بليفة　　حلفت للشينات ما أرد رأسي
لا عاد لا زينة وعين كسيفة　　ولا غسلت عنها الغمض والغساس
والريحة اللي كنها ريح جيفة　　وأبا اتلطم عن خبيث الخياس
ما حدني ربي على كل شيفة　　أنا ولد ناس وهي بنت ناس

فبناء على صدق الشاعر أو كذبه نحكم بأن هذه الأبيات غلو أو حقيقة.

إلا أن هذه الأوصاف مبالغة ـ بالمفهوم اللغوي ـ في إظهار القبح لتقصي الأوصاف والتشبيهات القبيحة.

وهذه هي قصيدة النجفي التي ألمحت إليها من ديوانه الأمواج يصف النجم:

كأن ساقط النجوم أرقم　　قد ساب في بحر الظلام وانطلق
أو كقذيفة رماها مدفع　　أو هو كالسهم من القوس مرق

أو لهب في فحمة الليل سرى أو هو جيب للدجى قد انخرق
أو سطر نور خط في لوح الدجى أو هو ميزاب من الضوء انهرق
أو هو عفريت سما إلى السما ليدخل الخلد فخر واحترق
أو هو قرن الشمس ناطح الدجى أو هو سيف لحشا الظلماء شق
أو رمح نور طعن الظلام أو نهر من النهار في الليل اندفق
أو كعمود الفجر لاح قارعاً جبين زنجي الظلام فانفلق
أو عمد يرفع خيمة الدجى أو هو ساق العرش في الليل برق

ثم قال يصف السها:

كأنما السها ملاك سابح يطفو زماناً ثم يعروه الغرق
أو كسراج شف منه زيته فينطفي آناً وآناً يأتلق
أو إبرة تغور ثم تعتلي تخيط من ثوب الظلام ما انفتق
أو عاشق تشع منه نفسه وتختفي وهو بآخر الرمق
أو ضوء شمع تعبث الريح به أو قدح زند هو أو برق خفق

ثم استمر يصف بمثل هذا المنهج الفرقدان والأفق والليل.

قال أبو عبدالرحمن: هناك قصيدة لشاعر أندلسي مغمور على هذا النسق أكدت في أحد أسفار كتابي الفنون الصغرى أن النجفي سطا عليها.

ومن المبالغات في تقصي أوصاف المشبه به قول سلمة بن الخرشب الأنماري:

فلو أنها تجري على الأرض أدركت ولكنها تهفو بتمثال طائر
خدارية فتخاء ألثق ريشها سحابة يوم ذا أهاطيب ماطر

شبه الفرس في السرعة بعقاب أصابها المطر فهي تبادر إلى وكرها وذلك ادعى لسرعتها.

ومن المبالغة باصطلاحي الأخير تأكيد نفي الشيء لتوقفه على وجود مستحيل كقول القاضي:

والله ما أسمع هرجكم لو تلجون بالصوت يندب منكم الشيخ والشاب
إلا إن سمع فرعون ما قال هارون أو يسمع الميت نبا صوت نجاب

فليس ها هنا دعوى مستحيل وإنما هو دعوى حقيقة معلق لقاؤها بوجود مستحيلات.

على أن كلمة (ما أسمع) هنا بمعنى لا أعتبر بكلامكم على سبيل المجاز.

ومثله قول حضير على لسان والدي رحمهما الله:

ما أنساك لين طويق يرحل لرمان والا البدو ينسون شد الظعين

ومن المبالغات باصطلاحي جميع قصيدة ابن جعيثن التي يصور فيها بخيلاً كقوله:

حتى الكحة ما يظهرها مثل الساري في مخافة
من خوفه يظهر دخانه يرقى يغطي كشافه
كن نجيره كلب مخضر يطويه الحايف ما يخافه
أوديك يذن في قفة يذكر والا ما احد شافه

إلى آخر القصيدة.

قال أبو عبدالرحمن: قد يكون في بعض هذه الأوصاف غلو ككتمانه للكحة أو انتحال هذه الأوصاف على رجل لم تحصل منه.

إلا أننا نسمي جميع القصيدة مبالغة لأنه حاول تقصي الأوصاف المجسدة لظاهرة البخل.

ومن المبالغات في التوجد قول محمد البحيري:

وجدي عليهم وجد راعي مواليف حيرانها وقم الثمانين مقهور
جاها عقيد ردف الجيش ترديف عطا لهن ما بين حزم وعنقور
أو وجد راعي حوطتين مهاديف يفجر عليهن طلعة الشمس بنهور

وقال سويلم بن علي السهلي:

وجدي عليهم وجد من له مواحيل حيل وخلفات تدوس الوسوم
وعشاير شقح تلاد ومخاليل ومعهن على شقران فلو قحوم
سبر لخطلان على كنس حيل شيب المتون عيونها تقل لوم
كل أبلج ضاري لكسب التنافيل وضرم يبون المال ما فيه لوم
وغارت عليه القوم خيل ورجاجيل وطبح على فلو حشوم عزوم
وأقفى يرادي له عن الخيل حلحيل شذر حذر تالي شيوخ قروم
واقفوا علّى ذوده عصاة مشاكيل وكل على حقه شحوح بحوم
وصله وخلى العج مثل المخاييل وعج الرمك والبل مثل الغيوم
يبي يداري هرجة القول والقيل حضر حياة ولا بنفسه وهوم
طبح له اللي ضاري بالمحاويل وثاره إلى أن أحذاه مثل النجوم
واقفى مذل مع دكاك الغراميل يفرك يديه ومر كبده يزوم
عقب السعد والعز والبن والهيل وكبش مربينه لكل محشوم
اليوم يسهر كل ما جرهد الليل ودايم على غيظه صموت كظوم
هذا وجودي وجد من له مواحيل من عقب ما هي ذود صارت قسوم
أووجد من صدرعلى أربع محاحيل ولها اليا غاب الرقيب معلوم

صدر على أربعماية كلها كيل ... خد حماد تسقي نواحيه كوم

اربع عقايبها اربع كنس حيل ... يشيلن الما في وساع الكموم

يوم استتم الزرع شال النما شيل ... نشت ببردها كبر روس البهوم

هلت على وسط المفالي هماليل ... وصارت على روس النواحي رجوم

واللي بقي من حبها شالها السيل ... غثوى السبل بالسيل مثل الهدوم

وأصبح يصيح ويزعج الويل بالويل ... وعن قول ما نالت يديه محروم

الله يكفينا شرور المخاييل ... اليا عطى رحمة كما انه رحوم

ما قلتها باللي تعرف التهاويل ... ولا هي من اللي يجمعن العلوم

وقال أيضاً:

واجذ قلبي جذ دلو مدلاة ... غرب ثقيل يوم تنهض رحاله

على زعاج يوم تارد وتملاه ... وتقفي تموح ويلطم الغرب جاله

توهفهه شنظور حيد بمطواه ... بس الرشا والغرب عود لحاله

وأرقى رشاه وغربها عود الماه ... وقد السريح وجذته بانتلالة

على وليف ما هقيت اسقم بلاه ... ولا هقيت القلب يقبل بداله

ولا هقيت القلب يطرب بلا ماه ... وغم طواه الياس واعزتا له

وجدي عليهم وجد من يبست شفاه ... باللال تيه ما رده حظو باله

تاه الطريح وحروة الجو ما جاه ... وعزاه ما حوله صديق صخا له

تالي كلامه قولته واحلالاه ... يا ويل من فارق عياله وماله

ولا كمل الشهاد والأمر لله ... يمناه بالصفقة تعلت شماله

ومن التوجد قول مشعان بن هذال:

وجدي وجود اللي تهايق على البير ... خم الرشا وحال ازرق الجم دونه

أو وجد من صكوا عليه المشاهير ... عجزوا هل العادات لا يظهرونه

أو وجد من له هجمتين خواوير حال الرمك ومسطر الغوش دونه
على الذي ما قط ذير ولا ذير وحش الحمى دونه عيال يحمونه.

وتمني المستحيلات ليس من الغلو، لأنه تمني مستحيل وليس ادعاء مستحيل.

ولكنه يكون مبالغة إذا كان فيه محاولة التقصي كمبالغة السعدي البواردي في تمني بعض مظاهر النعمة بهذه الأمنيات:

ليت التبن كله شاهي ورمل البترا شكر فلة[٤٤]
وعديد مليان حليب وطويق محقان كله

وقد أجازها إبراهيم البواردي (محيز) بقوله:

وفي الصفة هشيم البترا والروشن مليان برية
والروشن مملي برية وصوبة هيل كبير الثلة

ومثله الجمل الذي تنماه تركي بن حميد بقصيدة أوردتها في السفر الأول.

ومن الغلو المستعذب قول فهيد المجماج:

حبه يخج القلب ما يوجع أوجاع لا شك قلبي مودعه بيت نملة

وقول ابن أحمد راعي القرينة:

شفت برقٍ ينوض وقلت ذا الوسم بكر
واثر ذاك الحبيب يوم يوضي جبينه
خطر السطح من ممشى عشيري يتكسر
يا الله انك تعينه من ردوف تهينه

ويبرأ التشبيه من المبالغة إذا كان لوصف حال دون ادعاء حال كقول سليمان الطويل البواردي:

(٤٤) البترا: نفود بين السر والوشم.

والـراس عذق مـايل بـه رطيبة　　عسوه ليان والهبوب حدرت به

وعدوا من الغلو قول الشريف الرضي:

يـا ليلة كـاد من تقـاصـرهـا　　يعثـر فيـه العشـاء بـالسحـر

ووجه الغلو عندهم أن العشاء لا يعثر بالسحر.

قال أبو عبدالرحمن: الشريف يصف شعوره بالأنس بأنه قصير، ولا يقصر إلا بقلة اللحظة الزمنية ولقصر هذه اللحظة أصبح كأنه لا فارق في الزمن بين العشاء والسحر وقد يكون صادقاً في هذا الشعور فلم يخرج عن حد المبالغة في وصف القصر وليس هناك غلو أصلاً.

وإنما يوصف بالغلو في اصطلاحهم قول المهلهل:

ولولا الريـح أسمع من بحجـر　　صليـل البيض تقرع بـالـذكـور

فهذا ممتنع عقلاً وعادة ـ في عصر الشاعر ـ لأن بين حجر وبين موضع الوقعة عشرة أيام.

وقول أبـي العلاء المعري يذكر أن ممدوحه يرعب السيوف:

يـذيب الرعب منـه كل عضب　　فلولا الغمـد يمسكـه لسـالا

فمستحيل عقلاً وعادة أن يخاف السيف فضلاً عن أن يسيل بيد أن هذا الغلو مليح، لأنه أراد أن عدوه لا يجروء أحد على شهر السيف في وجهه فعبر عن هذا المعنى المباشر بهذا الإيحاء الأخاذ.

وعدوا من قبيح الغلو قول البلاذري المؤرخ في المتوكل:

ولو أن برد المصطفى إذ لبستـه　　يـظن لظن البـرد أنك صـاحبه
وقـال وقـد أعـطيتـه ولبستـه　　نعم هـذه أعـطافـه ومناكبـه

□ □ □



ـ ٣ ـ
من أخبار الشرارات



هذه قبيلة عربية نجيبة عريقة تضافرت المرجحات على نسبتهم إلى كلب كما عزز ذلك شيخنا حمد الجاسر، وجاء الأستاذ عاتق بن غيث البلادي فدفع احتمالات الجاسر باحتمالات أخرى.

وفي ميدان المحاصة بينهما أرى أن احتمالات الشيخ حمد أظهر، لأن احتمالاته متعينة في مقصده، واحتمالات البلادي احتمالات مرسلة.

والاحتمال الراجح أحظى من الاحتمال المرسل في ميدان الحجة والبرهان.

وللأستاذ سليمان الدخيل رحمه الله رأي سخيف إذ قال:

(إن الشرارات سموا كذلك لخستهم أو لقلة الاعتداد بهم فأصبحوا بالنسبة إلى العرب كنسبة ما يتطاير من النار عند اشتعالها إلى النار نفسها، وهذا كاف لتستدل على منزلتهم عند أهل البادية. ا. هـ).

قال أبو عبدالرحمن: هذا التعليل اللغوي من كيس الدخيل، وليس هو معروفاً في استعمال العامة.

ولا ريب أن عامة البادية غمزت في نسب الشرارات لأنها لم تتحققه، ولأن الشرارات أنفسهم لم تتحدد دعواهم على نسب موحد يردهم إلى إحدى القبائل القديمة، وبهذا السبب ضاعت أنساب كثيرة للحاضرة والبادية.

وأما وصف البادية للشرارات بالخسة فهذا محض افتراء من الدخيل، لأن الشرارات عربية الخلق والعادة وعلى سبيل المثال فزعيمها الفارس خلف بن دعيجا يعده زعماء البادية أنفسهم من أندادهم.

وقالت الليدي آن بلنت: (وليس للشرارات خيول ولكنهم يربون أرفع أنواع الهجن في بلاد العرب وأحسن فصيلة تسمى بنات عدهان. ا. هـ).

قال أبو عبدالرحمن: أما الخيل فهم أصحاب خيول أصيلة وقد ذكر الدخيل مربطاً من مرابطهم.

وأما نجابة هجنهم فهي مضرب المثل عند شعراء العامة.

قال الشاعر:

بنـــات حـــر فحلوه الشـــرارات   بالجيش تعني له جميع البوادي

وقال آخر:

يـــامـــا وطـــينـــاك مـــن مـــرة   من فـــوق حمرا شـــراريـــة[1]

---

(١) انظر عن الشرارات المصادر التالية:
في شمال غرب الجزيرة ١/٣٨٨ ــ ٣٩٠.
ومعجم قبائل المملكة ١/٣٨٨ ــ ٣٩٠.
ومجلة العرب ٣/٩٥٩ ــ ٩٦٠ و٤/٢٨١ ــ ٢٨٣ و٩/٧٩٤ ــ ٧٩٦.
ومجلة لغة العرب ١/٢٠٩ ــ ٢١١ ــ و٢٩٥ ــ ٣٠٠.
ورحلة إلى بلاد نجد ٤٦ ــ ٤٧.
والحويطات لعدنان عكار ص ١٥٧ ــ ١٥٩.
وقاموس العادات للعزيزي ٢/٩٥ ــ ٩٦ وص ٢٥٠ وفيه نكت ممتعة.
ورحلات في بلاد العرب ــ في شمال الحجاز والأردن للبلادي ص ١٠١ ــ ١٠٤ وص ١٠٦ ــ ١٠٨.
ومعجم قبائل الحجاز ٢/٢٢٩ ــ ٢٣١.
وبلاد الجوف لسعد الجنيدل ص ١٧٦ ــ ١٩٢. =

ومن أشعارهم قول ابن ماضي الشراري في معركة أبو عامود منذ ثمانين عاماً حيث انتصر عليهم الحويطات[٢]:

لاعادت اليوم عزوتنا	على ديار الحويطات
امس الضحا الخيل لحقتنا	كنه عرازيل حولات[٣]
من كل الاشناق ضبتنا	يذرا على الراس ماذاتي[٤]
الذيب لاجا معاركنا	يلقى الولايش كثيرات[٥]

والعقيد لا يسمى وليشة، إنما الوليشة ـ وهو ما يدل عليه السياق ـ بمعنى الذبيحة، وقد شبه القتلى بالذبائح[٦].

= وكنز الأنساب للحقيل ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

والمنتخب لابن مغيرة ص ٢٧٣.

والقبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ص ٤٩ وقد اعتمد على كتاب تاريخ شرق الأردن وقبائله.

ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/٥٨٧.

وعشائر العراق للعزاوي ١/٣٢٠.

وممن كتب عنهم البتنوني في الرحلة الحجازية وعليه اعتمد الهاشمي في الدرر الذهبية ص ٤٢.

والبركاتي في الرحلة اليمانية، ونعوم شقير في تاريخ سينا، ووصفي زكريا في عشائر الشام.

(٢) انظر الحويطات ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٣) في كتاب الحويطات: (تقول عرازيل)، فعدلتها حسب مقتضى اللحن الهجيني، وقد فسر العرازيل بالعناقيد.

(٤) في الحويطات يزرا ـ بالزاء ـ ولا معنى لها بل هي بالذال وفسر الماذاتي بالرصاص.

(٥) في الحويطات: (اذاجا) فعدلته لأجل خفة اللحن.

وفسر الولايش بالعقيد، وقال إن العقيد بالعرف العشائري هو حامل الراية؟!

قال أبو عبدالرحمن: العقيد لا يحمل الراية، والغزوات التي يتزعمها العقيد لا يكون فيها راية هي حيافة ومباغتة.

(٦) انظر قاموس العادات ٣/٢٢٩.

ومن أشعارهم قول ظاهرة الشرارية:

يا علي واقلبـي من الموت خايف	ماله عني يا علي لو صحت واوميت
اثر العجايز ما عليهم حسـايف	يا علي انا لاول شبابـي تطويت
وين الثمان اللي من اول رهايف	ووين القرون اللي عن الوجه كفيت
لا بـد ما تنهـج علوم طـرايف	الا ولاكني على الدار مريت[7]

ومما وجدته في أوراقي ولا أدري عمن رويته هذه الأبيات لخلف يخاطب ابنه:

يابن خلف قم بدل الدار بديار	الحـر عن دار المـذلـة يعـاف
يا مقبل اقحص بالعجل واوقد النار	وعلق معـاليق المشاة المقـافي
لو زان واحد بان من ذاك الانكار	ولا هو وكاد يصبح البال صافي
وجهك مع اول غلمتك ينور انوار	وتسنـد العايـل بحـد الـرهـاف

ورغب عيادة بن رخيص الشمري الزواج من بنت عمه إلا أنه تحجرها من هو أقرب منه فاستفزع بخلف بن دعيجا فأدركها له بعد أن بذل ماله وجاهه.

وبهذه المناسبة قال عيادة يستفزع بخلف:

يـا راكب حمرا تسـوج الحبال	كم ذيرت من راتع عند حيران
تلفى خلف قل له خلف من غدا لي	فكاك ربعه يوم روغات الاذهان

---

(٧) من آدابنا الشعبية ٢/ وعن ظاهرة انظر شاعرات من البادية ١٦١/١ ــ ١٦٢ وبلاد الجوف ص ١٢١ و١٢٦ و١٣٦ و١٩٠ ــ ١٩٢ وما نشرته بجريدة الجزيرة عدد ١٢٣٣ في ١٣٩٥/٦/١٠هـ.
وديوان النبط ١٣٢/٢.

لعل ما يجري لك اللي جرى لي　　هم عن المطعوم والنوم قزان
تقطعت كل العرا والمدالي　　افزع لنا يا شوق مياح الاردان

وقد أجابه خلف بقوله:

عياد فان اللي جرى لك جرى لي　　شربت شفق ورحت يا عياد ظميان
لو به سباحة دوبي اسبح لحالي　　لا شك انا باللي حوالي بلشان
اصبر وامضي ايامها والليالي　　كم قالة كبرت واخير امرها هان
مير اصطبر لا يختلف بك مجال　　لما تجيك الدايرة مثل ذلوان
باولاد مكلب فوق حيل جلال　　ولالي بهم غير اريش العين غرضان[8]

وقال خلف عندما عرفه فرسان الرولة:

انا بلون الناس وانا تبلويت　　وصارت عليه من كبار البلاوي
ذا لي ثلاث مية وخمسين مضيت　　وانا بسببها عند اهلها فداوي[9]

ومثل هذه القصة أن محيسنا السرحاني بلي بالعشق فأهاب بخلف يسعى له فذهب خلف متفدوياً[10] عند أهل البنت لمدة سنة إلا أنهم عرفوه وكشفوا عن هويته فلما عرفوا قصده من هذا التفدوي قبلوا وساطته وأوجبوا لمحيسن إلا أن محيسناً خلال هذه المدة أيس فمات فكان من صرعى الغرام كالمطوع والد جيها وابن حماد وابن حبيش والشمري.

وعشيقة محيسن من بنات الرولة، وقد أراد خلف التنصل لأن الفتاة ليست من قبيلته، وعرض على محسن مقابل هذا التنصل أن يهبه خلف إبله

---

(٨) قصة خلف مع عيادة في كتاب من آدابنا الشعبية ١/٢٦٤ ـ ٢٦٥ ومن أحاديث السمر ١/٦٧ ـ ٧٠.

(٩) قصة خلف مع محيسن في كتاب من آدابنا الشعبية ١/٢٦٥ ـ ٢٦٧ وسمعتها من إبراهيم اليوسف.

(١٠) التفدوي: خدمة الأكابر أو ملازمة بساطهم للمنادمة.

وبيته وولده وبندقه، ولكن محسناً أبى وأصر أن يرهن نفسه في بيت خلف وما على خلف إلا السعي في حاجة محسن.

وفي آخر مدة بقاء خلف متفدوياً عند الرولة حضر معهم وقعة فأبلى بلاء حسناً، وبهذا السبب عرفه فرسان الرولة.

وقد قال حسن عند إهابته بخلف:

يـا راكب حمرا من النـي تبني ... ومـردوم غيـر الـدفـوف السنـام
تـرعى زهر نـوار بـرق جـذبني ... مـرباعهـا مـا بين شـرق وشـام
وعيـونهـا حمـر الغضـا يلتهبني ... والاسـراج مـروطنين الكـلام
تلفي لبيت كنهـا الحيـد مبني ... راعيـه قطاع الفـرج والمـظامي
لا يـاخلف يكفيـك هم ركبني ... حيثك على الشدات رجل تحامي
غش العراق الله يجيرك ضربني ... وقام يتساوق مع مفاصل عظامي
على حبيب بـالمـودة سلبـني ... سلبـة عباة في يـدين الحرامي

ولما أنهى مهمته ووجد صاحبه وقد ودع الدنيا قال على منوال قصيدة محيسن:

قيفان من اصدر الفهيم انهـذبن ... لـولو ومـرجان مـلاوي كـلامي
يـا راكب اللي للبلد ما جلبني ... قطم الفخوذ معـربات الأسـامي
ما لا فاتن عند اول الذود لابن ... بمـلافت للحشـو يـوم الفـطام
من نسل هرش بالهدد له يجبن ... يـطلق عليهن يوم ان كـل ينام
مـا قيـظن يـرعن رمـام وتبن ... ولا صفرن قاع الجوا والوخـام
مـربـاعهن فيحـان ثم اقتلبني ... يرعن زهر نوار عشب الوسامي
يلفن على اللي من ربوعي ندبني ... يـا جـايبين العلم دمتـم ودام
إن كـان ذودي للحبيب يجبن ... دونـك نياقي قـد لهن بـالتمـام

دونك قعود البيت والبيت وابني وبي قولة العقلا علينا حرام
مع بندق لفظات فمها يصبن ولها على الضد المناحر مرام
البيض قبلك يا محيسن سلبني سلب الهوا لرهيفات الخيام
والبيض جعل البيض ما يرتجن هويهن ترمى عليه التهامي
يصلني بالبيبر من لا جذبني صل الرشا من فوق هدف المقام
محيسن على حوض المنايا عقبني حثرب علي الجم قليل الرحام

وسمعت من رواية رضا الشمري أن عبدا عشق فتاة عربية فقال العبد يستنجد بخلف، لأن خلفا صاحب وساطة محمودة بين العرب ونخوة فذة.

قال العبد:

لا يا خلف يوم ان كل عنى لك أنا علامي يا خلف ما اتنصاك
لا أريد من مالك ولا أبي حلالك الله بلاني يا خلف مثل بلواك
يا ريف هجن نوخوهن قبالك اللي تحنيهن من الدم يمناك[(١١)]
ويا ابن دعيجا غن هب الهوى لك حنا على علمك من البعد جيناك

فلما علم خلف أن عشيقة العبد من أصلاء العرب قال مجاوباً له:

يا العبد لا تغويك هومات بالك اقصر هوى رجلك على قد ممشاك
هذاك يوم الليث ما هو بحالك يسني بقلبك سنية الدلو برشاك

---

(١١) للضيف ثلاث درجات عند البادية: فمنهم من يذبح له، ومنهم من يكرم بطعام (عيش) دون لحم، ومنهم من يوضع له اللبن والتمر فقط.
وعادة أهل الحي أن يسألوا المضيف عن درجة ضيفه، وعادة المضيف أيضاً إذا ذبح للضيف أن يلطخ رقاب إبلهم بدم الذبيحة فيعلم الحي أن الضيف ممن يستحق الذبيحة.
فهذا معنى قول الشاعر: اللي تحنيهن من الدم يمناك.

ولـولا ردا عقلك ولولا هبـالك ما خلت برق يمه العشب لحذاك
عليك باللي بالمحبة صخا لك وان شاف غيظك بدل الغيظ برضاك
وبرق بعقبك لا يخيله خيـالك لو هو يشادي الشمس ولا القمر ذاك

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات لشاعر من أقارب خلف بن دعيجا يخاطب بها أحد أقرباء خلف ويمدح خلفا فيقول:

ما نقبل العيلات حصن مناكيـر ولـو قبلنا مـا تـوافق نسـانـا
للشر شر وننطح الخير في خير ومن به عيا نفس يـوافق عيانـا
خلف عديم الجنس يعرف ديمثير اللي بعيـد شـوفتـه مـا وطـانـا
نأخذ ونعطي وافي الشور ونشير ونمثله بـالـرأي فيمـا عـطانـا
هذاك حامي طرشنا والمـظاهير قـابد جهـامتنا وحـامي حمـانـا
وان ركبت قشر السنين المعاسير من البل لو غليت رخيص عشانا

ووجدت من المطبوع من شعر خلف هذين البيتين:

يا بنت حماي النضا ساعة الضيق شيخ تخضع لـه سباع الـرجال
أنتم خزايزكم طـوال السماحيق وخزايزي شمط اللحى والعيال[١٢]

ووجدت في كراسات الشيخ منديل الفهيد أن من الشرارات شاعراً اسمه مطيران وهو مجاور لابن جميعان شيخ السبوت من بني عطية الذين يسكنون بتبوك وضواحيها.

وقد شهد وقعتين متواليتين يدافع فيهما بنـو عطيـة عن أنفسهم ويهزمون المغيرين مع أن المغيرين في المرة الثانية استنجدوا بإحدى القبائل.

---

(١٢) مجلة التراث الشعبي س ١٣ عدد ١ ص ٧٥.

وقد قال مطيران هذه الأبيات معبراً عن إعجابه ببني عطية:

يـا مزنـة هلت بالأمسـح بذاره   يومي لمن يرعاه في جل وابكار
البـرق يوضي ليلهـا مع نهـاره   بمصافق العدوان مـرباعهـا حار
فيها أبو مطلق هو وربعه نمارة   ربع على الحارب يحثون الأكوار
فـرحان يستـاهل تشيـع اخبـاره   ربعه كما العقبان يردون الأخطار
ومنـزالهم راس النبا عن غتـاره   وقـطعانهم تـرعى زمـاليق نـوار
الضـد جـاهم جالب له تجـارة   مع من فزع راحت غنايم ومسفار
يـوم ان دومـان وقـع بـالغتـارة   وعيـون ربعـه بـالبـواريـد طيـار
اللي جدع للشيخ يبـطي نهاره   شوق الهنوف إلى هبا كل فشار

وسبب هذه الأبيات كما قال ابن جنيدل أنه وجد منزلاً يساعد عشيقته على الامتياح فكتم الخبر فأثنى عليه منزل.

وقد نسبت الأبيات لبصري الوضيحي خطأ.

أما منديل فيرى أن الأبيات لشاعر شراري يشكك في منزل وعشيقته ويقول الأبيات على لسانه فحاكموه عند راعي البشعة (الملحس) وحينئذ قال منزل:

عز الله اني باشع والحس النار   وعز الله ان النار تحرق لساني
وعـز الله اني ناقـل عم بيـطار   وعـز الله اني ذابح من بغـاني
وعز الله اني باغي ظبـي الأقفار   عشق على وضح النقا والبيـان
وعز الله أن اللي تقولون ما صار   وعز الله أنه مطلبـي ما عطاني

وقال منزل بن عرمان الشراري من المفالحة:

عسى الحيا يسقي مواريد ميقوع   يسقي القليب وماقفه مـع مرده

حيثه يجمع لي مخاليق ونجوع — وكل يقلط له محاله وعده[١٣]

وأنا عطاني مغزل العين قرطوع — يا علي ، وما ازين طعام المودة[١٤]

امسيت ما بي لا ظمأ ولا جوع — وأصبحت حالي بالشحم مستردة[١٤]

جيت الغضي ثوبه عن الساق مرفوع — متولف لرشاه، وده بشده[١٥]

وفهقت ثوبي عن ذراعي إلى الكوع — ومديت بس بيوم تسعين مدة[١٦]

والله يا لولا الحبل مثني ومربوع — ما اطاوع اللقاي لو قال رده[١٧]

والا لخلي النزل جاضع ومجضوع — ولأخلي كل بد يطلع لبده

والسد ما يبدى على غير مجدوع — اللي إلى شاف الخنا ما يعده[١٨]

□ □ □

---

(١٣) عند منديل:

الطارفة مع مرده

عند منديل:

حيثه مرب للفراقين ونجوع — وكل يقلط له حياض وعدة

(١٤) عند منديل:

تسعين يوم ما هوى كبدي الجوع — أشوف حالي بالشحم مستردة

(١٥) عند منديل:

سقيت من ثوبه على الساق مرفوع — متحيزم برشاه بيده يشده

(١٦) عند منديل:

ونهضت ثوبي

(١٧) عند منديل:

ما انكس على اللقاي

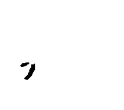
(١٨) عند منديل:

السد يبغى واحد مثل جدوع — لو شاف خملة صاحبه ما يرده

قال أبو عبدالرحمن:

سمعت القصة كاملة من الشيخ منديل رواية عن عاشق اللحاوي شيخ الشرارات ونشر بعضها ابن جنيدل في بلاد الجوف ص ١٨٦ ونسبت القصيدة خطأ لبصري الوضيحي.

- ٤ -
من شعر ابن غازي



عرفني أبو عفاس مطلق الشمري بابن غازي فقال:

إنه طلال بن فريج بن دغيم اشتهر بابن غازي من الدغيرات من العليان من جماعة ابن سعيد من شمر.

ولم أر له شعراً مطبوعاً غير ما أوردته ها هنا سوى هذا البيت:

اختــرت عنهم ربعـة دلهــوني   والبعد عمن لا يودك جلاهم[1]

ووجدت في السفر الثاني من كتاب الشيخ منديل هذه القصيدة للشاعرة رفعة أخت طلال بن فريج بن غازي الشمرية من الدغيرات هزبها زوجها بإحدى بنات شمر بطول قرونها فقالت:

هـزبتني بـاللي قـرونـه طــوال   بنت عفيفـة ما بهـا ما نعـد[2]

لا صار خاله ما يلادي لخالي   ولا جدها يذكر لدي لجدي[3]

ابـوي شيـخ مـدلهينـه خــوالي   ولا ابحلوا بـالراي يمـه يرد[4]

□ □ □

---

(١) الشوارد ٣/١٦٩.

(٢) هزبتني: عيرتني بمن تراه أفضل مني.

(٣) يلادي: يشابه.

(٤) ابحلو: حاروا وضاعت حيلتهم.



ـ ١ ـ

قصيدته على قافيتي الفاء والنون
من لحن المسحوب

قال أبو عبدالرحمن هذه القصيدة ناولنيها الشيخ سعد بن جنيدل بخط يده وسمعتها من الشيخ منديل في برنامجه الإذاعي ولم أكتبها عنه، وقال: إن بعض الرواة ينسبها إلى ابن سبيل والصواب أنها لابن غازي.

قال ابن غازي:

يا راكب اللي يوم يقبل يهيف	هماع قطاع الخرايم عماني[٢]
فـرة ظليم شـاف رام ذريـف	حقق عليـه ووكـده بـالبيـان[٣]
دلى يـرفـع بـالجنـاح الخفيف	والريش هزه بالثنادي السمان[٤]

---

(١) الشوارد ٣/١٦٩.

(٢) يهيف: يسرع وأصل الاستعمال:

(أ) إما من الهيف وهو ضمور البطن ورقة الخاصرة فلعل هذا الوصف من ملامح النجابة والسرعة. وهذا احتمال بعيد.

(ب) وإما من هافت الإبل إذا استقبلت هبوب الهيف فاتحة أفواهها من شدة العطش فهذا من دوافع السرعة وهذا أقرب.

(ج) وإما أن المعنى فصيح بدون تجوز لأن ابن عباد نقل أن المهيفات من الإبل هي المعناق.

هماع: متدفق السير على التشبيه بالسحاب إذا همع.

(٣) ذريف: يتتابع رميه كتتابع ذريف الدمع. حقق عليه: تأكد منه.

يصف جمله بظليم هذه حاله من ناحية السرعة.

(٤) دلى: صار. لعل وجه المجاز أنهم لاحظوا معنى الصيرورة في أحد معاني التدلي أو الدلو فعبروا بهذه المادة عن الصيرورة.

عـديت مـرقـاب طـويـل منيف	واليا اللي يتعبني براسه عداني[٥]
ولاي اخيل ظعون خلي تهيف	بايسر قطن بين الموشم واباني[٦]
اخيلهم بـالشوف شـوف نظيف	لا مـا تـواليهم غـدا ذيهبـان[٧]
وحولت من راس الطويلة معيف	ماني لوضاح الثمان رجـواني[٨]
غصن عليه من الجوابـي ذريف	نبنـوب لاركبـه ولا بــه مقـاني
وزول على مضنون عيني نضيف	ومعازل ما هي على مود ماني
انت الذي سميتني وانت ريفي	وانت الذي سميتني مع زماني
ما نيب سلطان ولا انتب شريف	يـاشين قـطعت العنـا والعـواني

□ □ □

(٥) عداني: منبسط سهل. لها مجاز من مادة عدن بمعنى الإقامة.

(٦) ولاي: وإلاي: أي وإذا أنا.

(٧) في رواية منديل: أحقهم بالشوف وهو أبلغ بشرط أن تبقى كلمة أخيل في البيت الذي قبل هذا.

لا ما: إلى أن.. ذيهبان: صيغة مبالغة من الذهاب بمعنى السرعة.

(٨) معيف: كاره وهي هنا بمعنى اليأس.

رجواني: صيغة مبالغة لتسمية من يرجو شيئاً بإلحاح.

ـ ٢ ـ

قصيدته على قافيتي الميم والجيم بوصل الهاء من لحن المسحوب

نشر منها ابن خميس أربعة أبيات(١) وحدثني أبوعفاس مطلق الشمري بها، ورأيت بعضها في كراسات الشيخ منديل بن فهيد.

قال ابن غازي الشمري:

يا الله يا محيي العظام الرمايم	يا خير كل العرب باختراجه(٢)
انك تذرى لي هبوب النسايم	تهيي هوى نفس براسه لجاجة(٣)
الله من كبد بها المر زايم	كبد تصفق ودها في خراجه(٤)
شفي على العيرات والحظ قايم	وتفضات بالي مع خطاة الزراجة(٥)
ولا جلعدت مع سهلة كالحمايم	جينا مكان البل وهذا مداجه(٦)

---

(١) الشوارد ٣/٤٩. ونقلها كاملة بكتابه من أحاديث السمر عن كراسة الشيخ منديل.

(٢) يا خير: تشديد الياء وهو الله سبحانه وقد غاب عن العامة أن الله لا يسمى إلا بما سمى به نفسه.

باختراجه: ما يخرجه لهم من الرزق.

(٣) لجاجة: نخوة. البيت كناية عن تمني فرصة الغزو. وعند منديل:

يـا الله يا منشي هبـوب النسـايم   تجلي صـدا كبـد بـراسـه لجـاجـة

(٤) خراجه: مخرج. وعند منديل: قامت تصعفق ودها بانزعاجه.

(٥) شفي: بغيتي وأمنيتي.. العيرات: الإبل.

تفضاة: إفراغ لأن الإفضاء يعني ذلك.

خطاة: شبه. عند منديل: الله على العيرات.. وتفضات بال.

(٦) جلعدت: تدفقت في السير، والعامة تقول جلعد فلان بفلان إذا جره مسرعاً به.

وعند منديل:

ليـا روحن مثـل اختبـاط النعـايم   متحـريات الكسب وسط المـداجة

غرنا وخذنا مال ناس صمايم | مثني بنقرة بانهباجة[٧]
وصاح الصياح وغبطوا بالهزايم | والخيل لحقتنا تنابط عجاجه
تحاولوا بقشوش حدب الضمايم | والخيل عن رمي البواريد ماجه[٨]
واللي وقع حامت عليه الحوايم | على مطيحه سحم الاظهار داجه
وضربي انا لعيون زرق الوشايم | غدي شفيق الروح يعطيني باجه[٩]
ولا نيب هلباح يجي للولايم | والا مديح الروح عندي سماجة[١٠]
يا شيب عيني واهني البهايم | ما ميزن درب القدا من عواجه

---

(٧) مثني: أي المال ويريد به الإبل: أي أنها معقولة أو باركة.. نقرة: المنخفض بين عروق الرمل. وعند منديل: جبنا عليهن.. همايم.. مربع في نقرة.

انهباجه: مكان متسع. ورواية أبي عفاس: منه باجة. فاصلحتها اجتهاداً.

قال خلف الإذن:

هذا الفخر ما هي بعارين بهباج | اللي عزل عيلاتكم عن خدرها

(٨) تحاولوا: لجأوا بحيلة.

قشوش حدب الضمايم: ما تحمل الإبل من مزاود وخروج وشبهها.

ماجه: ماجت. هذه لغة الشمال.

وكذلك داجه ــ بالهاء: أي داجت.

عند منديل:

تطابقوا بقشوش حدب صمايم | والخيل من صلو البواريد ماجه

(٩) غدي: لِعل. وعند أبي عفاس: (غديه) إلا أن الوزن يختل وعند أبي عفاس (يعطين) بدون ياء المتكلم وهذه هي لهجة الشمال إلا أن ضرورة الوزن صرفت الشاعر عن لهجته وهذه قاعدة في الشعر.

باجة: يتبوج لي بابتسامة على التشبيه بتبوج البرق. وعند منديل:

ضربتها لعيون زرق الوشايم | اللي صخيف الروح يضحك حجاجه

(١٠) هلباج: كسول اتكالي. قال أبو جراح السبيعي:

يا ونتي ما ونها كل هلباج | اونها ومسوكف الباب دوني

والشطر الثاني أصلحته اجتهاداً لإقامة وزنه، وهو عند أبي عفاس هكذا:

(والا مديح الروح تراه سماجة) وعند ابن خميس (وترى مديح النفس عيب وسماجة) وهو مستقيم بهذه الرواية.

هـني دب دب الايـام نـايـم ما له حذا ما حط في البطن حاجة
شبنـا وحنـا مثـل سـود اللثـايم ما ضاع من حاجات الا بس حاجة(١)

وذكر منديل عن قصة هذه القصيدة أن ابن سعيد أمير الدغيرات حصل له خلاف مع ابن غازي ولما أراد ابن غازي أخذ حقه منعه محمد بن رشيد لأن إحدى بنات آل سعيد أرضعت أحد أبناء عبدالله بن رشيد.

ولما سمع ابن رشيد قول ابن غازي:

شبنـا وحنـا مثـل سـود اللثـايم ما ظال من حاجاتنا ربع حاجة

قال له: ما الذي ضاع لك؟

فتظلم ابن غازي من ابن سعيد فقال ابن رشيد بحضور حمود العبيد الرشيد: لك من الآن حتى الصبح اعمل بابن سعيد ما تشاء، وكان ابن رشيد يظن أنه لن يتمكن من عمل أي شيء خلال هذا الوقت القصير كما أنه أنذر ابن سعيد ليحتاط خلال هذه المدة وكان ابن سعيد يبعد عن حايل ستين كيلومتراً.

فذهب ابن غازي إلى ابن سعيد سارياً في الليل راجلاً ووجده متحسباً له فرصده فلما طلع الفجر أمن ابن سعيد وقام لقضاء الحاجة فلحقه ابن غازي من مكمنه وطعنه ثم عاد إلى حائل قبل الصبح، ولم يرض ابن رشيد بذلك ولكنه لا يستطيع أن ينكر رخصته لا سيما أن حمود العبيد كان حاضراً فطرد ابن غازي من حائل فذهب إلى الجزيرة بالعراق عند آل الجرباء.

□ □ □

---

(١١) عند منديل: طول الايام.
عند منديل وابن خميس: ما ضال من حاجاتنا ربع حاجة



ـ ٥ ـ
نصوص عن البيئة

قال الأستاذ كاظم الدجيلي:

الفنجال كأس صغيرة تشرب بها القهوة. والكلمة فارسية الأصل من ينكان أو ينكال (كلاهما بكاف فارسية) وهي قديمة الاستعمال في اللسان بخلاف من ظن أنها حديثة التعريب، لأن الأقدمين من اللغويين ذكروها بلغة فنجال كما يعرفها إلى الآن الأعراب بهذه اللغة من شمر وعنزة وعقيل في بغداد ومنه مشعان الهذال ويروى لعبدالمحسن الهذال.

فقد روى لي هربيد البركة الزميل من شمر (وهو راوية الأعراب في أخبارها وأشعارها وحروبها كأبي عبيدة والأصمعي في أيامها ولم يزل إلى الآن حياً يرزق وقد ناهز الثمانين سنة): قال اجتمع قبل نحو ١٠٠ سنة في أيام الربيع مشعان بن هذال شيخ الدهامشة (وروي عبدالمحسن الهذال) وهما من العمارات من عنزة وشويش العجرش (كعملس) من شيوخ الثابت ويروى أخوه صايل (ويروى صالح الوضيحي أو أخوه بصري) وهما من البقعة من الثابت من شمر والأول فارس والثاني من أكبر شعراء شمر (وليس بفارس) ودريعي الشعلان شيخ الرولة من عنزة (ويروى أخوه مجول) ولم يكن عندهم تتن (تبغ) فسألوه هل يوجد منه شيء عند أحد فقيل لهم لا يوجد إلا غليوناً واحداً (أي ما يملؤه) وهم يسمونه بلغتهم سبيلاً (بكسر السين) عند خديجة الهذال فقصدوا بيتها وطلبوا إليها أن تجود عليهم به فقالت لا أعطيه إلا (بهوى) ـ أي بشعر يقال في وفيه ـ وكل من يجيد القول يستحقه دون صاحبيه فقال ابن شعلان وهو زوجها:

الله على التتن الخديجي واناسه　　مع جادل مصيون ضافي لباسه[1]

والمسك والريحان بفوجات راسه　　وهيل يجينا مع ردود الحجيج

معناه: لله طيب هذا التتن الخديجي، وفيه حسن تورية لأن الخديجي نوع من التتن وهو من أحسن أنواعه، ومعنى اناسه (أنسها) والضمير هنا لخديجة وجادر (قادر) وبفوجات راسه (في فروق شعرها) ويروى بدل بفوجات (بفروع) ويجينا (يأتينا) مع رجوع الحجاج ثم قال الهذال:

الله على التتن الخـديجي وفنجـال

وتـلاعبـه من قبـل. . الأجيـال[2]

ومجابلك من عدل الرقاب رجال　　رجال ما هو باول العمر فيجى[3]

ومعنى مجابلك (مقابلك) بالتخفيف ومعنى فيجي (وزان جيد المنسوبة) الحدث الذي لم تفاجئه ملمة قط ويروى بدل رجال ما هو الخ: (فجاه من هو إلخ) ومعنى فجاه فاجأه ثم قال العجرش أو الوضيحي:

الله على التتن الخديجي وغليون　　وشلفه نهار الكون وصفرا ومسنون

ابغي عليها ان صار طاعن ومطعون　　عند الجلايب مع تالي الهجيج

ومعنى شلفة (الرمح) والكون (الحرب) وصفرا (الفرس البيضاء) ومسنون (السيف) الحلايب (النوق) ويروى بدل الحلايب: (الحلايل) وهن النساء ويروون أيضاً (خلف العذارى الخ) ويروى الشطر الثاني الى هذا الوجه هو: (وصفرا نهار الكون تدنى ومسنون) ومعنى تدنى (تقرب إلى

---

(١) ورد في الأصل بعض الشطر الأخير هكذا (مع جادر بالليل).

(٢) هكذا في الأصل، ورواية أهل نجد هكذا:

ومقـابلك من تلع الارقـاب مكسـال

(٣) رواية أهل نجد هكذا:

من قبـل ما يـاتيـك قصـاف الاجـال

الحرب) ومعنى تالي الهجيج (آخر الهزيمة) فجادت خديجة بغليون التتن على الأخير وقالت لصاحبيه إنه أولى به منكما لأنه أجاد القول وأحسن المغزى ولم يشر إلى معنى بذيء (وهو الذي حذفناه هنا) ويسمي الأعراب طريقة هذا النظم (الركباني) ولنا شواهد كثيرة من أشعار الأعراب الحاليين على الفنجال ضربنا عنها صفحاً حذراً من السأم والملل.

وأما كون فنجال وردت في كلام اللغويين الأقدمين فشاهده قول صاحب التاج قال: (لطر جهارة شبه كاس في التكملة شبه طاس يشرب فيه وهو الفنجال).

وقد عرب العرب الكلمة المذكورة الفارسية بنكان بصور أخرى وهي: بنكام ومنجاته ومنقانة ومنقالة ومنغالة ومنكملة [بكاف فارسية] ومكانة [بالكاف المذكورة] فضلاً عن فنجان للدلالة على الساعة المائية المسماة عند الأفرنج (Clepsydre).

قال ياقوت في [١:٣٨٣]: وعلى أحد أبواب هذه الكنيسة [كنيسة القيسان] فنجان للساعات يعمل ليلاً ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا. ا. هـ.

وقال القزويني [٢:٤٠٧] وبها فنجان الساعات اتخذ فيه اثنا عشر باباً لكل باب مصراع طوله شبر على عدد الساعات كلما مرت ساعة الليل والنهار انفتح باب وخرج منه شخص ولم يزل قائماً حتى تتم الساعة فإذا تمت الساعة دخل ذلك الشخص ورد الباب وانفتح باب آخر وخرج منه شخص آخر على هذا المثال. ا. هـ.

ومن هذه الشواهد ترى أن هذه الكلمة قد عربت منذ سابق العهد وليست حديثة النقل كما توهمه بعضهم[٤].

* * *

(٤) لغة العرب ٣/٣٦٧.

قال أبو عبدالرحمن: منذ القدم وهجرة الأعراب تتدفق من جنوب الجزيرة إلى شمالها وقد غمرت قبائل الجزيرة براري العراق وأريافها وحملت معها عاداتها حتى صارت بيئة البادية في العراق صورة للبيئة النجدية.

وهذه صورة عن عرب العراق أنقلها بقلم الأستاذ كاظم الدجيلي.

قال كاظم:

عرف العموم أعراب العراق وما هم عليه من السخاء وعزة النفس والإباء وحمي الجار والذمار والنجدة والشجاعة.

وما كنت أعرف السبب الذي يحمل الغربي على أن ينقم من العراقي ويرميه بالتوحش والهمجية حتى سافرت مع عدة رجال من فضلائهم وحينئذ أميط عني الحجاب المرسل على تلك الحقيقة الغامضة، ووقفت على السر الذي خفي على كثير من أدباء الغرب والشرق.

من عادات أعراب العراق أنهم يضيفون كل من ينزل بجوارهم وأنهم يقبلون كل ضيف مهما كان مذهبه ونحلته، ويعدون أكبر عار عليهم إذا دعوا أحداً إلى طعامهم ولم يجبهم إليه.

وكم مرة نشبت الحرب فيما بينهم من أجل فنجال قهوة يعطى لأحد جلساء النادي (وهم يسمون النادي المضيف أو الديوان أو الربعة) فلم يشربه فيقتله صاحب الديوان أو يبارزه لكونه أخل بشرفه لم يشرب فنجانه فتضرم نار الحرب بين القبيلتين أو القبائل ولا تنطفىء إلا بعد قتل النفوس الكثيرة من الطرفين لأنهم يعدون الذي لا يشرب فنجانه مغموراً في عرضه.

ومن عاداتهم أنهم يحتقرون الحضر أهل المدن ويصفونهم بالجبن والبخل فيقولون إذا أرادوا أن يعبروا عن أحدهم بالذم: (هذا شنهو حضري غلاك بابه اجال الطماطة ابويمة بوليني) معناه من هذا؟؟ هذا

حضري يغلق باب داره دائماً حذراً من أن يأتيه ضيف وخوفاً من السرق وهو يأكل دائماً الطماطة (البنادوري أو الطماطم) والجبنة إذا أراد أن يبول في الليل ينادي أمه لتذهب معه طرداً لما يمكن أن يسبب له الخوف.

وكذلك قل عن أهل المدن فيما بينهم فإن الذي لا ينتسب إلى قبيلة من قبائل الأعراب هو محتقر عندهم أيضاً بخلاف المنتسب إلى قبيلة فإنهم يجلونه ويصغون إلى كلامه.

ومن عادات أعراب العراق أن الرئيس أو الشيخ منهم يعد نفسه في محله أكبر من سلاطين الدنيا بأسرهم وكثيراً ما يعقدون بينهم مجالس يتهكمون فيها على قوانين الحكومات لزعمهم أن الحكم للسيف لا غير وقد ضربوا لذلك مثلاً قالوا: (الحق بالسيف والعاجز بريد شهود).

ومن عاداتهم أن الأدنى لا يجلس في محل الأعلى ولا يعلوه وإذا وقع مثل ذلك يعد الأعلى هذا العمل احتقاراً له وازدراء به.

ومن عاداتهم الاستياء ممن يتضجر من مجالستهم ولا يصغي إلى كلامهم ولا يظهر له الارتياح عند سماعه إياه ولا يسر بملاقاة أحدهم ولا يبش في وجهه وهذه العادة في الشرق كله لا في العراق فقط.

ومن عاداتهم الجلوس على الأرض وإذا وجد من يجلس على الكرسي يذم عند قومه ويحتقر ويرمى بالكبر والجبروت.

ومن عاداتهم الجلوس على السفرة جميعاً والأكل من إناء واحد ولا يمد أحدهم يده إلى الطعام بل ولا يقدم عليه بدون إذن ودعاء. وإلا أحجم ولو مات جوعاً، ثم لا يمد المدعو يده إلى الإناء قبل أن يمدها الرئيس أو الداعي إياه.

ولما كان مخالفة هذه العادات عند الأعراب أكبر إثم من مخالفة خالق الناس ورازقهم لأن المحافظة عليها من أوجب الواجبات وأفرض الفرائض

كانت مخالفتها عند الغربيين من باب مقابلة الضد بالضد، لأن الغربي المدني يحتقر القروي، ولا يقبل ضيفاً لم تسبق معرفته إياه وإذا ضاف من يعرفه فتكون ضيافته بمنزلة دعاء إلى غداء لا غير، ويحب الغربي الجلوس في غرفة مخصوصة به، ولا يقبل زائراً بدون استئذانه وقد يرده إذا لم يرد مواجهته، وإذا ضجر من جليسه أو احتاج إلى أمر اعتذر منه في الحال، ولا يعمل عملاً مهما كان كبيراً أو صغيراً بدون أجرة ولا يشرك أحداً في طعامه عند الأكل ولا يجلس إلا على الكرسي وعلى هذه قس ما سواها، وكل ذلك مما يخالف أخلاق العرب وعوائدهم كما يتضح ذلك لمن يعرف مصطلحات القومين(٥).

وقال الدجيلي:

لا نكران أن العراقيين يجلون الغريب ويحترمونه كل الاحترام ويودون أن يسدوا إليه كل مكرمة ولا يعتذرون أبداً ممن يندبهم إلى كشف ملمة أو قضاء حاجة أو سد عون.

وهل يذم رجل تسأله أين الطريق الفلاني وهو يراك متحيراً غريباً فيشفق عليك وللحين يترك شغله ويذهب معك حتى يدلك عليه ويرجع عنك بلا أجرة مكافأة؟.

وهل يسب فتى تنزل حوله فيحسن قراك ويقوم بضيافتك ولو بقيت مدى الدهر بلا من ولا أذى ولا جزاء ويقدم طعام عشرة رجال لرجل واحد وإذا فضل من ذلك الطعام شيء فلا يرجع فضالته إلى البيت الذي جاء منه بل يأكلها من حضر الديوان، لأنهم يعدون رجوعها أكبر عار عليهم؟!.

---

(٥) لغة العرب ٣/٣٦٧ ـ ٣٧٠.

وهل يرمى بالتوحش شخص يراك وحيداً فيأتي إليك ويحدثك بملح الأحاديث حذراً من أن تقول: ما أوحش هؤلاء القـوم لا أنيس فيهم ولا جليس!.

وهل يقذف بالغدر امرؤ تقول له: أنا بذمامك (وهم يقولون بوجهك وأهل الشرقية بعقلك[٦] فيضطر إلى أن يرسل معك أفراداً من رجاله (ويسمون واحدهم مسير[٧] والجمع تسيار ومسايير) ولا يتركك هؤلاء النفر حتى ينزلوك أرضاً تكون فيها أميناً على نفسك ومالك، وحينئذ يرجعون عنك بسلام ولا يأخذون منك درهماً ولا ديناراً ولو أخذوا لأنبهم أميرهم وللحقهم عار قومهم إلى الأبد؟.

وهل يحتقر إنسان تزوره في بيته فيتواضع لك ويتصاغر بين يديك ويجلسك على أعلى المراتب ويقوم بخدمتك ولو كان أكبر منك بكثير لكي يكون مصداقاً لقول شاعرهم:

لعمرو أبيك الخيـر إني لخادم   لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وإذا أصابك سوء وأنت في بيته فلا بد من أن ينتقم ممن أساء إليك أو يقتل دونك.

ومنه قول الشاعر البدوي العصري النجدي (ويقال إن صاحب هذين البيتين ريمان من شعراء نجد الفرسان) وهما في الفخر والحماسة.

ذبحت سبعـة كلهم فـرسـان   بين الـظهر والعصـر ما صليت

كله لاجـل خـاطـر الضيفـان   خليت بـاجي سـورهم بـالبيت

(٦) بتحريك الباء بكسرة غير بينة وإسكان العين وكسر اللام وفتح القاف التي يلفظونها كافاً فارسية وفي الآخر كاف ساكنة.

(٧) بإسكان الميم وفتح السين المهملة وكسر الياء المثناة التحتية المشددة وفي الآخر راء مهملة ساكنة.

معناه ذبحت سبعة فرسان لكونهم أهانوا ضيوفي الذين تركت فضلة طعامهم في بيتي لا يأكلها أحد حتى آخذ بثأرهم وكان وقت ذبحهم بعد الزوال أي قبل أن أصلي العصر.

وأعظم من ذلك الحكاية التالية التي تزري بفخر السموأل وهي: غزا ذات يوم كبير العمور (وهم يسمونه قليط والعمور فخذ من أفخاذ شمر ينزل مع الظفير وهم قوم ابن سويط[٨] وكان معه طائفة من قومه فصار عليهم عقيداً وبعد أن خرجوا من بيوتهم لحق بهم ابن صنيتان السويط يريد الغزو معهم أيضاً ولما غنموا اختار ابن صنيتان ناقة من الإبل التي غنموها قبل القسمة لكونه ابن شيخ العرب فأبى أن يعطيها إياه العقيد لأن من عادة الأعراب إذا غزا قوم منهم وأقاموا عليهم فللعقيد الأمر والنهي والعزل ومعنى العزل أنه يأخذ من الماشية التي كسبت قبل القسمة ما كان ظهرها أبيض دون سواه ولو كان في الجيش من هو أكبر منه ولو جود هذه العادة عندهم منع العقيد (العمري) أي العموري واسمه نائف طلبة ابن صنيتان عنه فأسرها الشاب في نفسه ولم يبدها لأحد حتى وردوا فخيم العرب وذهب كل إلى بيته وبعد بضعة أيام زار العقيد المذكور ابن صنيتان في بيته (وهم يقولون سيرعليه) ولما أقبل قام له كل جالس إجلالاً لشأنه وأدنوه حتى جلس على الشداد[٩] وما كاد يستقر بمكانه حتى أخذ الشاب السالف الذكر بندقية وضربه برصاصة من خلفه فأصابت مقتلاً بين كتفيه

---

(٨) أولاد سويط أو صويط ثلاثة وهم صنيتان وجعيلان وحمود ابناء نائف بن سلطان السويط وكان لصنيتان وهو الأكبر النظر بالأحكام والقضايا (أي العرافة) بين الأعراب ولجعيلان وهو الأوسط مراسلة الحكام ورؤساء الأعراب وعقد العهود والمحالفات بين الأعراب وبين قومه. ولحمود وهو الأصغر الرئاسة على الظفير وما زالوا على هذا السير إلى أن مات صنيتان ثم جعيلان وقد بقي حمود رئيساً إلى الآن وهو حي يرزق.

(٩) بإسكان الشين المعجمة فدال مهملة مفتوحة بعدها ألف وفي الآخر دال مهملة متكأ يتكأ عليه وهو للبعير كالسرج للفرس.

فمات للحال ولما شاهد العمور ما جرى لزعيمهم قوضوا خيامهم وعزموا على الرحيل، وقالوا: إننا لا نريد جوار شيخ يقتل كبيرنا في بيته.

ولما سمع القول ابن صنيتان حكم على أخويه وقومه: إن لم تأتوني بالصبي قبل المغرب لكي أقتله انتحرت فذهبوا يفتشون عليه فوجدوه في بيت من بيوت الأعراب فأتوا به إلى أبيه فمسكه وذبحه بيده كما تذبح الشاة وقال: إن ولداً يهين مجاوري (وهم يقولون اقصراي) في بيتي لحق أن يذبح هذا الذبح ثم أهدى رأسه إلى العمور ولما شاهدوا الرأس رجعوا إلى منازلهم السابقة. وقد وقعت هذه الحادثة في حدود سنة ١٣٢٠هـ ـ ١٩٠٢م على ما أخبرنا الحاج جار الله الدخيل العقيلي النجدي.

ونظير هذه الحكاية حكاية وقعت للمهدي[١٠] شيخ حرب مع رجل من عنزة وذلك في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة ومثلها لابن مخلاد واسمه (برجس) وهو من شيوخ عنزة الفرسان مع التمياط من شيوخ شمر واسمه مجحم وذلك قبل ٢٥ سنة ونحوها أيضاً لابن شعلان واسمه محمد مع رجل من الفضلة من شمر وذلك قبل ٤ سنين.

فبالله أيها العادل المنصف أمن الحق أن يقال لصاحب هذه الأعمال رذلاً لئيماً وأن يقال لصاحب الأعمال التي تضادها فاضلاً كريماً؟.

فلينصف السائح الغربي نفسه وليجاز العراقيين في عاداتهم وأخلاقهم وإذا رأى بعد ذلك طريقاً للذم والانتقاد فله أن يسلكه وإلا كان ذمه إياهم ظلماً وعدواناً[١١].

* * *

---

(١٠) بإسكان الميم وفتح الهاء وكسر الدال وفي الآخر ياء مشددة. الدجيلي.
قال أبو عبدالرحمن: لعله مهمل المهادي من الفضول وقصته مع جاره مشهورة.
(١١) لغة العرب ٣/٣٧١ ـ ٣٧٤.

وهذه مقالة للأستاذ عبدالله الماجد عن الطب البدوي في قلب جزيرة العرب.

قال:

يقاسي البدوي من شظف الحياة في الصحراء، ما يجعله دائم العمل والدأب على جلب مصالحه، وتقويم أسرته، ينتقل من سهل إلى سهل، يتتبع منابع القطر، ينظر الأرض وقد اكتست بلباس أخضر من الكلأ، فتعود إلى نفسه نشوة الأمل، يطفح وجهه بالبشر، وكأنه عاش من جديد. وما هي إلا أيام ويتبدل هذا الفرح إلى هم حيث يفكر في تقويم قطيع الغنم والجمال يبحث عن منطقة مكلئة له.

ولكن الانشغال، بالحياة المعيشية وكدها لم يمنعه عن التمتع والتصرف بأسباب أخرى من حياته هي بمكان هام في مجرى حياته، فجعل من نفسه طبيباً يعالج أسرته إذا ما مرضت، ويعالج أغنامه وجماله وخيله. فهو بذلك قد أخذ الطب عن أسلافه الذين كانوا يعرفون التركيب الجسماني للناقة، وفي ذلك نظموا شعرهم، وها هو طرفة بن العبد يقول عن ناقته:

وجمجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
وأروع نبّاض أحذ ململم كمرداة صخر في صفيح مصمد

إن هذه الأوصاف لا تدل على ملاحظة عارضة عابرة، بل على مشاهدة عاقلة ودرس دقيق ليس في نطاق الشعر، بل هو بعلم الطب ألصق.

وقد كان البدوي في عصور الجاهلية. يداوي بما له من الذكاء، ومن الاختبار من غير رجوع إلى قواعد ثابتة، أو علم منظم في ذلك.

يقول ابن خلدون ـ المقدمة: ٩١٨ ـ: (وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي).

والطب أول ما نشأ في الجزيرة العربية كان بدائياً حيث اختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم، التي كان الاعتماد عليها في مقاومة إصابة العين والالتجاء إلى الحجامة أو الفصد، إلى جانب استعمال بعض الأعشاب التي تجلب عادة من الهند وبعضها ينبت في صحراء الجزيرة وكان من أول أطباء البادية الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي، وابن حذيم، وزينب طبيبة بني أود، وكانت بارعة بالتكحيل (مداواة العين) عارفة بالأعمال الطبية وبالجراحة، ومنهم أبو رمثة التميمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وكان بارعاً كأبيه.

ويرجع الطب العربي في أصله إلى مصدرين أساسين: يوناني وهو الأصل، والثاني فارسي. ولا شك أن اليونان والفرس مدينون لمن سبقهم في العلوم، فقد نشأ الطب في أشور بابل، وقد اشتغل بالطب في مصر القديمة في القرن الثلاثين قبل الميلاد. اشتغل به وزير فرعون وطبيبه الخاص في ذلك الزمن، وعقب ذلك تطورات لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

واليوم في البادية عرافون كثيرون، تعلموا بأسباب الطب والمداواة، ولكنهم ليسوا كعرافي أسلافهم في القديم على قلتهم، وهم على قلتهم، لهم مكانة العرافة والتزعم في العرافة، وكان عراف اليمامة رباح بن حجلة، وعراف حجر الأبلق الأسدي، وقد شكا عروة بن حزام حبه لعفراء بعد أن أصابه من حبها ما أصابه:

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف حجر ان هما شفياني

فما تركا من حيلة يعملانها ولا رقية الا وقد رقياني

لقد أخذ أطباء البدو عقاقير أمراضهم من نبات بلادهم وأعشابها. كما فعل أسلافهم من قبلهم، ومن هذه النباتات والأعشاب، والحنظل وهو لتسهيل البطنة بعنف والكافور ويستعمل لقطع الرعاف ويقوي الحواس ويقطع الباه، والكمون يحل القونج ويطرد الريح، والنعناع وهو من ألطف البقول، ويقوي المعدة ويسكن الفواق ويمنع القيء، والضال وهو السدر البري، والرمث من الحمض، ومن الرمث أيضاً ما يشبه الغضا شجر جيد للوقود، والشيح وهو نبات مشهور، ويستعمل لتخفيف بعض الأرياح في الجسم، والقيصوم وهو نبات مر المذاق، والعرمض والسنا وهو دواء مسهل، والجعدي والبعيثران والحرمل ويقطف عادة طلوع الشمس إذا أريد علاجاً.

استعمل الطبيب البدوي الكثير من هذه النباتات والأعشاب، وعند الحاجة التي تدعو إلى تركيب بعضها مع بعض، إما لإصلاح كيفية الدواء أو إزالة كراهته أو لإضعاف قوته أو لرفع ضرر الدواء أو لحفظ قوته زماناً، أو لشدة المرض وقوته إذا لم يوجد دواء واحد يقاومه، أو لاختلاف مزاج المريض.

بإحدى هذه المسببات، يستطيع الطبيب إجراء عملية تركيب دوائه، والطبيب البدوي جرى في هذه التركيبات عن خبرة وحذق وتتم العلاجات تبعاً لاختلاف الأمراض، فمثلاً في عضة الكلب (المغلوث)، يشق موضع العضة، وتوضع عليها المحاجم وتمص مصاً قوياً، ويجتهد ليبقى الجرح مفتوحاً.

وعلاج الملسوع ويكون بترك النوم حتى تتم المعالجة التي هي عادة سبع ليالي أو أربع عشرة ليلة. وأحياناً يتدارك الملسوع، وتوضع على مكان اللسعة المحاجم بعد شقها ويمص السم قبل انتشاره في أجزاء الجسم.

وقد اشتهر أطباء من البادية بفراستهم في الطب، وطول باعهم فيه من عرب نجد وذاعت شهرتهم بين القبائل، حتى أنهم إذا دعت الحاجة يرتحل إليهم في مضارب خيامهم في مناطقهم المعروفة ومن هؤلاء رجل من مطير من قبيلة المجالسة يدعى (المقضي) لقد بهر هذا الرجل العقول بماله من إقدام وجسارة في الطب نادرة. من ذلك أن رجلاً من قبيلته انكسر فيه ضلعان بعد سقوطه من ناقته، وفي الحال حضر (المقضي) الطبيب، وأمسك بإحدى الكلاب وشق ضلوعه وفي الحال شق مكان ضلعي الرجل المصاب وأبدل بضلعي الكلب ضلعيه المنكسرين وخاط الشق بشعره من ذيل الناقة وبعد مدة من الزمن برىء فيها جرح هذا الرجل، وعاش سالماً كما كان.

إن هذه البراعة من النادر وجودها لدى غيره، وتعطي دليلاً لمدى حرص البدوي على معرفة كل ما من شأنه سد حاجة في منأى بعده عن الحضر، وقد اشتهر والده من قبله فكان طبيباً حاذقاً.

كان المقضي معاصراً الملك عبدالعزيز رحمه الله.

ومثله اشتهر ملفي بن زيد الحربي، وعلاجاته في نطاق الجمال والخيل، فهو طبيب بيطري. كان يعالج الناقة إذا أصيبت بكسر في إحدى قوائمها، يربط إحدى القوائم السليمة مع قوائمها الخلفية. ويجعل من تحتها مسنداً عمل كهيئة السرير بحيث يرفعها من تحت بطنها عن الأرض وتتكىء عليه، وتسند يدها المصابة بالكسر بجبائر من الخشب وتبقى على حالتها هذه مدة أربعين ليلة بعدها تشفى.

ويعالج الناقة إذا أصيبت بفقد بصرها، وتظهر إثر ذلك علامات من تحت جفن العينين على شكل قطع بارزة، فتقطع رؤوس هذه الظواهر ثم يوضع مكان القطع قليل من الملح. وبإذن الله يعود بصرها إليها، ويسارع الطبيب في اتخاذ هذه الإجراءات قبل مضي أيام لكي يكون العلاج سهلاً،

تشفى في حالة، وحالة أخرى يعالجها عندما تصاب أنثى الفرس بعدم الإنجاب والحمل.. يحدث هذا عادة بفعل تشقق الجهاز التناسلي للفرس. في هذه الحالة، تكبل الفرس بالقيود ويجري عملية سريعة لاستخراج جهاز التناسل، ونشره بحيث تظهر أماكن التشقق. في هذه الأثناء قد أحضر له عدد من الدواب الصغيرة التي تكثر في مناطق تزول البدو، تسمى هذه الدواب بـ (القعوس، أو القعران) لدى البدو وتثنى مناطق الشق على بعضها، ويترك للدابة الصغيرة أن تعض مكان الشق هذا، ويقطع رأس هذه الدابة عن جسمها، ولا يزال الرأس ماسكاً بمنطقة الشق. وهكذا حتى تنتهي عملية ترقيع مكان الشقوق لإعادة جهاز التناسل مكانه، يحفر في الأرض عب تجعل يدا الفرس بداخله، وتبقى أرجلها خارج العب، فترتفع مؤخرتها بينما تنحدر مقدمتها، ويعاد الجهاز التناسلي أو الرحم كما يعرف لدى البدو إلى مكانه، وينشر بداخل جسمها، ويجهز قطعة من التمر عجنت وخلطت مع بعضها متماسكة مع قليل من الملح والسمن وتجعل بداخل التناسل كخميرة له وبعد إتمام ذلك تطلق الفرس، وبعد عملية اللقاح مع الفرس من جديد تنتظم عملية الإنجاب بعد انقطاع.

بعد ذلك يحق لنا أن نعهد البدوي في الصحراء طبيباً ماهراً، يعبأ بجميع مستلزمات حياته على شقائها وشظف العيش فيها، وجعل من نفسه طبيباً ماهراً في كل ما يحل به وبقبيلته من بلاء، وحتى قطيعه تفرس في أمر تطبيبه فجعل من نفسه طبيباً بيطرياً إن هذا هو البدوي في قلب الجزيرة العربية وهذا طبه في أعلا صوره[١٢].

* * *

---

(١٢) مجلة العرب س ٢ ج ٤ ص ٢٩٧ ـ ٣٠١ وللدكتور يوسف الحميدان مناقشة لهذه المقالة بمجلة العرب س ٢ ص ٦٠٨ ـ ٦١٠.

وقال الدكتور حبيب صادر عن علاج بدو العراق للزهري:

جوب جيني (بجيمين فارسيتين مثلثتين) لفظة مركبة من كلمتين فارسيتين الأولى (جوب) أي خشب، والثانية (جيني) أي صيني ومحصل معناهما الخشب الصيني والكلمة يستعملها العراقيون ليدلوا بها على النبات المعروف باللاتينية، وهو من الفصيلة العشبية.

والذي يستعمل من هذه النبتة هو جذرها وهو يتقوم من عدة طبقات سمر اللون إلى الاصفرار طعمها حار ومر قليلاً ورائحتها بها لا تشبه رائحة شيء آخر ويغلى منها قدر تسعين غراماً على نار هادئة مع لتر ماء ويغلى إلى أن تصبح كمية الماء قدر نصف لتر فحينئذ ترفع وتصفى وتؤخذ في أثناء اليوم الواحد.

ويسعملها البدو كلهم على هذه الطريقة ولا يتخذونها للزهري فقط، بل لكل الأمراض الجلدية كالأكزيما والقوباء والجرب، بل للحبل أيضاً ولجميع الأمراض النسوية وذلك أن المرأة إذا رأت أنها منحرفة المزاج عمدت إلى الجوب جيني وهذا العقار كثيراً ما ينتج نتائج حسنة في أعراض الزهري الجلدية فلذلك يعتقد كل البدو صحة شفائها فيشترونها بأسعار باهظة ويخزنونها في بيوتهم ولهذا قل من لم يفهم كلمة (جوب جيني)، ولكنها ليست بكافية لاستئصال داء الزهري الذي يزداد يوماً فيوماً في ديار العراق ومع ذلك تراهم لا يستعملون علاجاً سواها فيا للأسف من هذا الصنيع.

وفي المنطقة التي قضيت فيها مدة من الزمن أرجح أن سبعين في المئة من الأهالي مصابون بهذا الداء ويسمونه (أبو الخصيان) إذا أصاب مذاكير الإنسان ولأنهم لاحظوا أن المتزوج المصاب به لا يعيش له أولاد وإذا ظهر في الحنجرة أو البلعوم سموه (اللواث) وهم يعتبرونه مرضاً خفيفاً للغاية ولا بد لكل إنسان من الوقوع فيه ويعتقدون أيضاً أنه يخول الجسم مناعة دائمة وأن كل إنسان لا يصاب به إلا مرة واحدة في حياته لذلك تراهم

لا يخافونه ويتمنون لأطفالهم أن يصابوا به اعتقاداً منهم أنه يكون أخف وطأة عند الصغار.

ويقال عن اعتقادهم أيضاً أن الذي لا يصاب به في الدنيا يلاقيه في الآخرة وأظن أن هذا القول مبالغ فيه والذي تحققته بذاتي أنهم لا يتجنبون عدواه والتعرض للوقوع فيه.

ومن المعلوم أن هذا الداء وراثي ومكتسب أعني أنه ينتقل إلى الولد بالوراثة وينتقل إلى الغير بالعدوى وذلك باتباع العادات السيئة التي تساعد انتقاله من شخص إلى آخر وأنت تعلم أن البدو يكرمون الضيف كل الإكرام ويطعمونه أولاً، ثم يأكلون بعده لكنهم يأكلون ما تبقى من الأكل الذي أكل منه الضيف ويتمششون العظام إذا كان هناك عظام ومن الماعون نفسه الذي أكل منه وبعده يشربون القهوة مع ضيفهم في فنجان واحد وأحياناً في فنجانين فقط فكيف يتاح للبدوي المسكين المحيط به عدد عظيم من هؤلاء المصابين بالزهري أن يتجنب هذا الداء فضلاً عن أنه يجهل ضرر هذه العادات فإذن لا بد من الوقوع في الشرك.

فإذا استمرت الحالة على هذا المنوال لا يمضي كثير من الوقت إلا ويعم هذا الداء البدو جميعهم.

وهو منتشر أيضاً بالصورة المذكورة في حضر العراق فهو منه أهم في المدن الكبيرة من البلدان الصغيرة ولا سيما العاصمة فانتشاره بين الشبيبة دليل واضح على توسيع نطاق سريانه، وهذا الداء من أهم المصائب التي تهدد المجتمع لأنه يفتك فتكاً ذريعاً في كل أعضاء الجسم فيدخل إلى الدماغ ويسبب جميع الأمراض العصبية والعقلية على اختلاف أنواعها وإلى العينين فيذهب بالبصر وإلى الأذنين فيعتريهما الطرش والصمم وإلى الحنجرة فيذهب بالصوت وإلى الخصيتين فيغدو الرجل عقيماً وإلى الكليتين أو الكبد أو الرئتين فيحدث فيها أعراض تشبه داء السل في تطوراته وعلى

كل حال هو أفظع الأمراض وأخطرها على أعضاء الألفة الاجتماعية ولا سيما أن إصابته الشبيبة أكثر من غيرها.

والطامة الكبرى هي انتشاره بين البدو والحضر على قياس واحد من باب التقريب بعكس سائر الأمراض فالسل الرئوي مثلاً إذا كان متفشياً في المدن فهو قليل الوقوع في الأعراب لكن الزهري يزداد نمواً في القومين الحضر والبدو على حد سواء.

والمصاب الجسيم هو أن هؤلاء البدو لا يستعملون علاجاً لهذا الداء إلا العشبة أو (الحبوب جيني) ومن المعلوم أن خاصية هذا النبات إدرار البول والعرق وأن تأثيره على جرثومة الزهري خفيف جداً لأنه يلطف أعراضه أحياناً لكنه لا يستأصل شأفته ألبتة ولذلك ينتشر الزهري الوراثي هائلاً في العراق أضعاف انتشاره في باقي البلدان ومعدله المئوي يزداد يوماً فيوماً فعسى أن تأخذ حكومتنا الوسائل الفعالة لمنع سريانه بين السكان وإلا فالخسائر لا تقدر[١٣].

وهذا نص آخر لسليمان الدخيل ــ رحمه الله ــ عن أخلاق أهل نجد.

قال:

أخلاقهم هي أخلاق العرب الأقدمين العزيزي النفس المتوقدي الذهن الأذكياء الشهام الأباة أخلاق لم تغيرها الحوادث والأزمان فهم اليوم أهل كرم وشجاعة ووفاء وسماحة وحمى ودخالة وسيرتهم توافق قوانينهم وتنطبق عليها أتم الانطباق ولا تحيد عن الكتاب والسنة فهم يجلونها أعظم الإجلال ولا يعتبرون إلا إياها.

---

(١٣) لغة العرب ٩/٨٦٧ ــ ٨٦٩.

نعم يوجد بين القبائل من يجري على قوانين وسنن راجعة إليهم وخاصة بهم يقومون لها ويقعدون لكن إذا جاؤوا المدن رجعوا إلى الشرع الشريف في أمورهم وشؤونهم الاجتماعية. هذا فضلاً عن أن لهذه السنن من المزايا والمحاسن ما تفيد كل الإفادة تلك الأقوام في هاتيك الربوع ولولا ضيق المقام لأتينا على ذكر بعض منها إظهاراً لمنافعها ولما أودعتها من الحكمة البعيدة المرمى والمبنى والمعنى.

والتجارة التي يتعاطاها أهل تلك الأرجاء هي الخيل والإبل وكلاهما من أحسن ما وجد من جنسيهما في الدنيا كلها جمعاء.

ولعلنا نعقد يوماً فصلاً فنذكر فيه ما يجب الوقوف عليه في هذا البحث.

والتمر وأنواعه كثيرة وأسماؤه هي تلك الأسماء القديمة لا تتغير وهذا يفيدنا في تصحيح بعض الألفاظ الواردة في هذا المعنى.

والسمن (واسمه عندهم الدهن كما يسميه العراقيون) والصوف والوبر، ويذهبون بكل صنف من هذه الأصناف إلى حيث يكون رواجه، فيذهب بالخيل مثلاً إلى بلاد الهند، وأغلب أصائل هذه الأنحاء من نجد، وينقلون الإبل إلى مصر والشام، ويحملون التمر إلى الحجاز ويبيعون الدهن أو السمن في البصرة والكويت والحجاز حسب الوقت الذي يوافق نقله أو يصادف تصريفه وإنفاقه في موطن دون الموطن الآخر الذي رخص فيه، وهذا هو سر أسفارهم المترامية وتغربهم عن أقطارهم العزيزة، ولهم في ذلك من الصبر والجلادة ما لا تراه في أقوام آخرين سواهم، فإنك ترى الواحد منهم يقيم نائياً عن مسقط رأسه ثلاثين حولاً مثلاً ولا يتأفف من حالته ألبتة، وهم أهل سعي وكد وجد ولا تعيقهم الأخطار الشديدة ولا الأهوال الهائلة عن الوصول إلى ما به منفعتهم.

أفبعد هذا تتعجب من كون كثيرين منهم وصلوا إلى لندن وأميركة والديار النائية، فلقد يقضي واحدهم الأيام الطوال والأعوام الكثار بدون أن يلتفت إلى وطنه.

أغلب زراعتهم متوقفة على الحنطة والشعير والذرة (الأذرة والأدرة) والسمسم والدخن ويزرعون كل هذه الحبوب بقدر حاجتهم، وإذا حبست السماء ماءها اضطروا إلى جلب ما يحتاجون إليه من البلاد الأخرى كالكويت والبصرة والسماوة وغيره، ولقد كانت الزراعة تتقدم عندهم تقدماً عظيمًا لولا أمرين أحدهما: جور الحكام، والثاني: قلة المياه.

ولقد حاولوا مراراً استنباط المياه بالآلات المختلفة أو حفر الآبار والارتوازية فلم يتيسر لهم ذلك، لصعوبة الطرق ووعورتها بحيث لا تستطيع العجلات السير فيها.

وأما إذا قلت: فهناك جمال تضطلع بحملها: قلنا: تضطلع بحمل بعضها لا بكلها لأنه يوجد آلات ثقيلة غاية الثقل لا يحملها البعير الواحد، بل ولا البعيران أو الثلاثة، ومن ثم أصبح نقلها من البعيد التحقيق، ولولا ذلك لأصبحوا في غنى عن الديار الأخرى في كل أين وآن، بل لزادت حاصلاتهم على نفقتهم ولربحوا من التجارة بما فضل عندهم أموالاً طائلة تأتيهم من البلاد التي ينفقون اليوم فيها أموالهم للحصول على ما يحتاجون إليه.

ليس لهم من الصنائع إلا ما لغيرهم من مجاوريهم من أهل الكويت والبصرة كالتجارة والحدادة والسكافة والخياطة وما ضاهى هذه المهن، ومهارتهم في الأسلحة غريبة فإنهم وإن كانوا أخلاء من جميع الوسائل الميسرة لهذه الغاية فإنك تراهم يصلحون ما يقع من أنواع الخلل ببنادق ما وزر وما رتيني، وأغرب من هذا أنهم يفرغون المدافع إفراغاً محكمًا ويحسنون التصرف بالمدافع الجديدة الطرز حتى إنك تخالهم أنهم تلقوا علم

المدافع عن أصحابه المهرة وإذا وقع في هذه الآلات خلل أصلحوه على أقوم وجه.

ومع كل هذه البراعة والتفنن لا تشاهد في أيديهم أدوات تامة العدة كما ترى في البلاد الراقية في المدنية.

وعندي أنه لو وجد بأيديهم آلات تساعدهم على تحقيق أمنيتهم لبرزوا في الصناعيات على من سواهم ولأتوا بكل عجاب، وأوقفك الآن على أغرب من هذا كله: أنهم يتحرون المباحث العلمية الدقيقة ويتتبعون الاكتشافات الحديثة كالكهرباء والسلك الجوي وبعض الآلات البرقية وما ضاهى هذه الموضوعات الجديدة، وأعهد واحداً في القصيم يضيىء محله بالنور الكهربائي الذي هو من صنع يديه وقد ركب الأجزاء التي يتولد منه بأعمال فكرته.

وإذا كانوا لا يحققون دائماً ما يعقدون النية عليه فهو لأنهم في شغل شاغل عنه بما يقومون به من أمر المعيشة وتطلبها في الأقطار النائية.

بقي علينا إيراد أمر الديانة والاعتقاد عندهم، فقد أسلفت وقلت إنهم يعتمدون على الكتاب (القرآن) والسنة (وهي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولدي بحث جليل في هذا الموضوع وهو لا يخلو من فائدة لمن يريد تتبع الحقائق على وجهها الصادق الصحيح واستقراء ثواب الأمور، ولعلي أعود إلى هذا المجال في فرصة أخرى.

هواء البلاد: لا تكاد تلفظ كلمة نجد إلا وتتصور هذه البلاد تحت عينيك ويهب عليك نسيمها ويتلاعب أمامك هواؤه الطيب الجاف، لأن معنى نجد ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلب وغلظ.. ولا يكون النجد إلا قفا أو صلابة من الأرض من ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه.. (عن التاج)، والهواء في منتهى الحرارة

وقد تبلغ في الظل في بعض المواطن ٥٢ درجة بالميزان المئوي، وعند الصباح يهب نسيم طيب لذيذ في الصيف وإذا تكبدت الشمس السماء انقطع الهواء في شهر تموز وآب وأيلول حتى يكاد الإنسان يموت اختناقاً إلا أنه لجفافه لا تؤثر كثيراً على الصحة، ويضطر من يسكن تلك الديار إلى اتخاذ المآكل الخفيفة الهضم والانقطاع عن المسكرات والامتناع عن الأطعمة المطبوخة باللحوم الثقيلة.

تأثير الهواء على السكان: اعلم أن أغلب الأمراض تتولد هناك من الكبد لشدة الحر، ومن مؤثرات الحر على أهل البلاد أن أغلبهم ضعاف نحاف سمر الألوان طوال القامة إلا أنهم أقوياء يحتملون الجوع والعطش إلى درجة لا تكاد تراها في سواهم، وهم عصبيو البنية ذوو عزم شديد ومضاء بعيد إذا قصدوا شيئاً لا يرجعون عنه ولو كلفهم كرب الموت وإراقة الدماء وهم من بين جميع العرب سريعو تلقن العلوم والمعارف بل هم يتلقفونها تلقفاً لسرعة تناولهم إياها وكذا قل عن الصنائع والفنون على اختلاف أنواعها وضروبها.

ليس في بلد من بلاد العرب من يحصي عدد الأنفس. هذا فضلاً عن أن هذا العمل عندهم مشؤوم إلا أن العارفين يقدرون أهل نجد بما ينيف على مليون نسمة.

يتضح لك مما أسلفنا ذكره أن بلاد نجد من أحسن بلاد جزيرة العرب تراباً وهواء، ولهذا قال ياقوت في معجمه: لم يذكر الشعراء موضعاً أكثر مما ذكروا نجداً وتشوقوا إليها من الأعراب المتحضرة من ذلك قول أعرابي:

حنيناً إلى أرض كأن ترابها   إذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه   ونور الأقاحي وشي برد محبر

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافع ... أجل لا ولكني إلى ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة ... لعينيك مجرى ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب إما مجاوز ... بحرب وإما نازح يتذكر

وقال أعرابي آخر:

فيا حبذا وطيب ترابه ... إذا هضبته بالعشي هواضبه
وريح صبا نجد إذا ما تنسمت ... ضحى أو سرت جنح الظلام جنائبه
بأجرع ممراع كأن رياحه ... سحاب من الكافور والمسك شائبه
وأشهد لا أنساه ما عشت ساعة ... وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة ... بذكراه حتى يترك الماء شاربه[١٤]

* * *

وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد:

كانت معاملتهم حسنة ويحنو بعضهم على بعض لأن غالبهم كانت طاهرة قلوبهم واللين مما كانت القلوب عليه الآن والدنيا لم تبسط عليهم كما بسطت على من بعدهم فكان الإنسان يعطي وإن كان من قلة ويبذلون أموالهم في الأوقاف على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والأئمة والمؤذنين فإنك لا تكاد تجد نخلاً من النخيل إلا وفيه تمر معلوم للصوام أو مؤذن المسجد أو إمامه أو مصابيح المسجد ويتسابقون في الخيرات كما أن غلات الأراضي تكثر فيها الأوقاف ويعمرون المساجد ويؤون الضعيف ويرحمون ذا الفاقة هذا وما كانوا يعرفون طيارة ولا سيارة بل لم يتمكنوا من تسييرها ولم يتوصلوا إلى هذه الكهرباء.

---

(١٤) لغة العرب ١/٦٣ ـ ٦٩.

أما جعل مراكب برية كهذه المصنوعات فقد أوجدوها غير أنهم لم يستطيعوا تسييرها إلا ببغال أو جمال أو حمير تجرها وغالب سلاحهم إنما هي أم فتيل أو مدافع تجر ويجعل فيها البارود والقبس وسيوف ورماح ونحوها.

أما المصابيح إذ ذاك فكان مادتها الودك يلقى فيها فتائل وتوقد أو شمعة ونحوها لذلك كانوا إذا أغار بعضهم على بعض وطلبوا المغير عليهم ليلا ليستردوا ما أخذ يربطون قدراً بين بعيرين ويوقد في هذا القدر نار من حطب ليقصوا الآثار ويسمونه مشعل الشيخ أي الرئيس وما نشأت إذ ذاك هذه الأهوال والمهمات وما كانوا يعرفون الكهرباء أو اللوكس أو شيئاً من البترول ولم تظهر هذه المطابع التي هيأت توفير الكتب والمطبوعات والرسائل وغيرها في هذه الأزمنة وعلى قياس هذا تعرف أنهم في بداوة.

وغالب الشعراء الذين لم يتعلموا العلم إنما كان شعرهم نبطياً فيه فصاحة وبلاغة فيرى غير موزرون كما يشاهد في شعر حميدان والقاضي وابن ربيعة وابن عرفج وابن لعبون وكانوا يعيبون نسب الحداد وأهل الصناعة كالنجار والعطار والصيرفي، فمتى كان المرء كذلك فهو ساقط النسب عندهم وكان الرجل إذا أحسن إلى الرجل وأراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء وينادي عليها فلان بيض الله وجهه(١٥).

رفعت له بيضاء على رأس شاهق	أعلل ربعي بالثناء من خصاله
له ترفع البيضا ويحدى بذكره	فتى تنجلي أكدارها من فعاله
تسلسل حرا بين قوم أعزة	فعم كريم مع جلالة خاله

وكانوا يعتنون في الفلاحة لا سيما النخيل والزرع كالبر والدخن وقد جعل الله فيها بركة أعظم منها اليوم.

---

(١٥) قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا معروفاً في بادية عصور العاميةمع ان في أمثالهم: تنشر له البيضا.

وقد حدثنا والدنا السعيد قدس الله روحه أنهم أنكروا الساعة لما حدثت حتى أطلق عليها بعضهم أنها صنم.

ولما جاءت لأول مرة إلى القصيم في أمارة حسن بن مهنا يحملها رجل العقيلات وشى بعضهم إلى الأمير حسن يقول إن معه صنمًا فلما ألقى الأمير القبض عليه وفتشه وجد الساعة لا يعرفونها إلا أنها صنم، وذلك لأنه لا يوجد ساعات في نجد إذ ذاك وكان لأهل نجد عادات وأخبار عجيبة.

ومن أبلغ مشروباتهم قهوة البن فإنهم يتغالون في تقديمها وعملها ولهم أشعار رائعة في القهوة لأنهم كانوا يرون فيها رجولة وتقدماً فهي أعظم ما عندهم من الحشمة يقدمونها على اللحم والألبان وسائر المأكولات ويستنشقون رائحتها إذا حمصت أبلغ من استنشاق العود والبخور والطيب والعطر، ولا سيما إذا صبت كنقاعة الحناء فإن لهم شعراً بصفتها ويرون إكرام الضيف وحسن الجوار وتزويج الأكفاء وإن كان المهر قليلاً ولم يفش فيهم الترف والمدينة إنما يخشوشنون في بعض الأحيان تأدباً مع الشريعة ولكل زمان دولة ورجال(١٦).

* * *

وقال عباس العزاوي:

من سمر البادية، ومن أكثر ما يلهج به البدوي اختيار الزوجة، ومراعاة أصلها، وطيب نجارها، وعراقة نسبها، وهي عونه في حياته، أو شقاؤه ومذلته، ويلهج العربي دائمًا بقوله (العرق دساس)، (ثلثا الولد لخاله) و (دور علي المنسب ترى الخال جرار) و (بنت الذلول ذلول)، وكلها تدعو إلى لزوم التحري عن الزوجة اللائقة، وأساساً إن الزوجة ليست بضاعة تشترى أو تباع، وتتداولها الأيدي، والقوم إذا رأوا أدنى عيب في

---

(١٦) تذكرة أولي النهى والعرفان ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

القبيلة يتوقون من الاتصال بها، ويتباعدون خشية أن يدس العرق، وإذا كان المخول رديئاً نراهم يتباعدون حذر أن يتورث عرق الخؤولة، وهكذا الوارثة مراعية عندهم في الخيل والإبل.

وفي الوقت نفسه يحضون على أخذ النساء والإكثار منهن ليكون للمرء أولاد يكيد بهم أعداءه، ويقهر منافسيه، فيقولون: خود من النساء وجيد العدا (خذ من النساء وكد الأعداء)، ولا يحصى القول في هذا الموضوع.

وإني ذاكر بعض الحكايات في النسب، واختيار الزوجة، ولا يختلف فيها البدو والمثال لا يقتصر على من قيل فيهم، وإنما الأمر مشترك في الكل، ومعتبر بين الجميع، ولا يستثنى إلا الصلبة فإنهم يعدون غير أكفاء لسائر العرب في الاختيار.

بنت رغيلان ــ أم شلهبة:

يحكون أن أحد رجال شمر المعروفين، فهيد بن الغواري من العمود دعا ابنه أن يتزوج ابنة صالح بن رغيلان من قبيلة اليحيا من شمر وهم أخوال صفوق وفارس آل محمد ولما كانت هذه الأسرة معتبرة عند البدو حض ابنه أن يتزوج ببنت صالح، وهو يعلم أن والد البنت لا يمنعها لما لعشيرته وأبيه من المنزلة النبيلة، والمكانة المعتبرة عندهم.

ذهب الولد فرحب به والد البنت، وبعد المفاوضة طلب مهراً (سياقاً) عشراً من النوق الغتر (البيض) فلم يبد الابن موافقة واستكثر الطلب وأن يدفع للبنت هذا القدر من المال، وعنده أن كل ناقة تساوي امرأة أو عشراً من النساء!.

رجع الولد دون أن يظهر غرضه، وسأله أبوه فكان جوابه أن أباها لم يوافق على إعطائها له، فاستنكر والده ذلك، وغضب على ابنه وقال له: طلب منك ما استكثرته، ولامه على فعلته، ثم حثه على العودة مرة أخرى،

وفي السنة التالية بين أنه يقدم العشرة المطلوبة، فأجابه أبو البنت أنها ليست بضاعة يساوم عليها فإن شئت أن تعطي عشرين ناقة من الغتر تقدم، فلا أوافق على أقل!

وفي هذه المرة استعظم المقدار، وعزم أن لا يتزوجها وعاد بصفقة المغبون فلقي من والده لائمة أكبر، وأمره أن يأخذها بما كلفه الأمر، وأن يقدم له ما يطلب منه وأن لا يتردد في القبول، أو يتأخر في إنهاء القضية باكراً أنه إذا حصل منها ولد فإنه النعمة التي لا يعدلها ثمن، ولا يقدر بإبل وشاء وإن أباها لا يردك إن رأى منك رغبة صادقة مراعاة لجاه أبيك!.

وفي هذه المرة نزل ضيفاً عند الأب، وكان قد خرج إلى البر لقضاء حاجته، فوجد بنتاً جميلة جداً خرجت من البيت ذاهبة للاحتطاب فأعجبته فسألها عن البنت المطلوبة فمدحتها وأثنت على جميل خصالها، وقالت: أنا لست بشيء بالنظر إليها، ولامته بل عنفته على تأخره عن الأخذ، وأن والدها ليس له أمل في أخذ المال!.

طلب الأب منه في هذه المرة ثلاثين ناقة، وأبدى أنه لا يعدل عن واحدة فلم يتردد الولد وأعطى المطلوب.

أما الأب فإنه آثر ذلك وبعد تمام العقد أعاد الإبل جميعها وأعطى ناقة للبنت من ماله وأخرى لخادمتها، وسيرها بالوجه اللائق والأتم، وبين أنه أراد أن يبرهن للولد بأن البنت عزيزة عنده ولم تكن ذليلة، ولا غرضه أن يساوم، أو يربح ربحاً منها، وبعد ثلاث سنوات ولدت له ابناً ثم آخر!.

مضت مدة على زواجه وفي يوم من الأيام صادف ليلاً ناراً موقدة في بيت من بيوت البدو فوجد عندها بنتاً تصطلي على النار تتشلهب فأعجبه بياض ساقيها ونعومة بشرتها وفي تلك الليلة طلبها من أبيها فتزوجها وعلقت منه وصار له منها ولد.

كبر الأولاد، وكانوا قد بلغوا مبلغ الرجال، ويؤمل منهم ما يؤمل من أمثالهم للحروب والغزو أوحفظ المال والأهل والنضال عنهما عند الملمات!!.

وكانت قد حصلت منافرة في هذه الأيام بينهم وبين قبيلة عنزة المشهورة، فمال عليهم بعض غزاتها فانتهبوا إبلهم وكان من رأي ابن (ام شلهبة) أن لا قدرة على الحرب والأولى أن يعودوا ويفروا بأنفسهم فاعترضه ابنا (بنت رغيلان) بأنهما كيف وبأي وجه يرجعان إلى جدهما وقد أخذت إبلهم ونهبت من بين أيديهم فأجاب ابن أم شلهبة نعوض له إبلاً أخرى تعود لنا، فلم يوافقوا على هذا، ولم يرجعوا وإنما تحاربوا مع العدو وانتزعوا الإبل المنهوبة ومعها بعض (الكلايع) ورجعوا غانيمين، ظافرين، وكان قد سبقهم ابن أم شلهبة فأخبر جده بما خاطر به الأولاد الآخرين، وما جازفوا، فبقي صامتاً ساكتاً، لا ينبس ببنت شفة وآثار التألم بادية عليه، ولا طريق له في هذا الليل أن يعمل عملاً ما وصار لا يهجع وكان يعبث بالنار، في عصا بيده ويزيد في الوقود، وهو مضطرب.

وعلى كل كان على أحر من الجمر، وبينما هو كذلك إذ جاء أحد الولدين وكان قد سبق صاحبه راكباً فرسه ليبشر جده، وبقي الآخر مع الإبل يمشي على مهل، فبشره بالنجاح واستعادة الإبل، وما جرى من انتصار وأنه سارع لإخباره، ففرح جداً، ولقب الفار بابن (أم شلهبة) وبقي النبز ملازماً له وخاطب المنتصر قائلاً:

ان جدت انا جاذبك من مجاذبك

وان برت هو اولاد الصكور تبور[١٧]

(١٧) الشطر الأخير منكسر. أبو عبدالرحمن.

وهكذا يقصون الحكايات الكثيرة من هذا الموضوع وكلها لا تخلو من دقة وعناية أدبية وعندنا أيضاً (العرق دساس) و (إياكم وخضراء الدمن)، والأشعار في هذا الباب كثيرة.

والبدو يتلاعبون في البيان، ويراعون كل وضع أدبي، تصدر هذه ممن يعرف كيف يستهويهم بلفظه، وإشاراته، وتزويق رأيه مما يزيد في الحكايات رشاقة وفي الكلمات رقة وحلاوة وفي السبك طلاوة.

ولا يتيسر هذا لكل بدوي فما كل من نطق خطيب، ولا كل من كتب بليغ، ولا من زاول النظم شاعر، وإنما هناك مواهب قرنت بممارسة وتمرين.

وكل فتور، أو ظهور حوادث جديدة يتخذونها موضوعاً لتقوية فكرتهم المعتادة من لزوم اختيار الزوجة من نسب عريق، وأخلاقهم العامة تأبى أن يتناولوا كل مأكل، وهم كما قيل:

ولو كتموا أنسابهم لعزتهم وجوه وفعل شاهد كل مشهد

أو تراهم يقولون:

خواله ما هم من عمامه
دور الاصل والمغني الله
ابن ابنك ابنك وابن بنتك لا

ولا يراعون دائماً الحب والعشق أو الحسن في الدرجة الأولى، وإنما يلتزمون الأصل الصريح، ويقولون (مضرباً) لمن أخواله ليس من أعمامه، أو من أصل رديء وهو المعروف بـ (الهجين)، وهكذا الأمر معتبر عند العرب القدماء، وفي كتب الأدب مباحث خاصة في الخؤولة عند العرب.

اختيار النسب ـ الحب:

عوائد القوم في الزواج مقرونة بتقاليد لم يكن أساسها الجمال وحده كما أن الاختلاط واتصال الجنسين معروف في البدو، ويراعى اختيار الوالدين في انتخاب الزوجة وللتودد دخل، وأصله الرغبة الخالصة ومثل هذا ليس بالقليل، وقد يجتمع الأمران.

إن الضرورة أو الحاجة تدعو إلى الاتصال الدائم والاختلاط المستمر سواء في حلهم وترحالهم، وفي الأفراح والأعراس يختلط القوم ويشتركون جميعاً وهم في هذه الحالة بمنزلة عائلة واحدة، وكذا الأمور التي تجلب السخط، والرزايا العامة، والمصائب الطارئة أثناء الغزو وهجوم الأعداء، أو موت عزيز أو قتله.

ومن ثم نرى التكلف، والتأثر بما يحدث مما يؤدي إلى هذا الاختلاط نوعاً ومثله الجيرة والقربى، والمجالس المعروفة بالدواوين، بل وسكنى الخيام.

كل هذه من دواعي التحابب والتقرب في الزواج، ولكن ذلك كله محاط بسياجات قوية من عفاف، وخوف هما نتيجة تقاليد موروثة مثل النهوة من الأقارب بما لم يبق أملاً في العشق والحب أو الرغبة وإلا عرض المرء نفسه لأخطار قد تشترك فيها جميع أفراد القبيلة بالتناطح والتطاحن وتحول دون الرغبة في الزواج، وفي هذا يراعى رغبة الزوجة فإذا قالت أنا باغيته، أو أنا ما باغيته فلا يخالفون ذلك، وغالب ما تلاحظ الزوجة الشجاعة وحسن السمعة والكرم وسائر الصفات المرغوب فيها.

وكل هذا لا يمنع أن ينتقى النسب الصالح ويغالى فيه، والتحوطات لها مكانتها مما تجب مراعاته في الغالب، والمرأة إذا لم تقبل واحداً ورفضته فلا يتقدم عليها ويأنف قربها بعد أن تعلن راغبة عنه، وكذلك هو لا يتصل

بها وإن ملكت جمال العالم وكان في نسبها خلل، أو في أصلها عذروبة (علة) كما يقولون.

بنت الذلول ذلول:

هذا المثل يعين ناحية مهمة في اختيار الأصل والنسب المقبول بطريقة أن من لم يراع حكم هذا المثل يناله ما نال الرجل الذي كان مضرب هذا المثل فيقع بما لا يرضى ولا يحمد، وذلك أنهم يحكون أن رجلاً أحب امرأة وأراد أن يشاور آخر في أمر زواجها وكان يأمل أن يشاركه في التشجيع على الأخذ في حين أنه يعرف أن أصلها رديء، وكانت أمها مشتبهاً في عفافها.

نهاه صاحبه أن يتصل بها نظراً لسوء جرثومتها، وأن لا يختار هذا المركب فلم يوافق على رأي المستشار وقال له ليس من المعلوم أن تتابع أمها، بل تتجنب ذلك السلوم الرديء ولا تعلم عنه، ولما كان عازماً على التزوج نهاه صاحبه ولامه من جراء استشارته فقال: كنت آمل أن تميل إلى رأيي فلما وجدتك خالفتني فلست مضطراً على مراعاة فكرتك!.

انتهى الحديث بينه وبين رفيقه وتزوجها، وفي أحد الأيام أراد أن يعبر من مكان فيه نهر وقد امتنعت عليه الإبل من العبور، وتعسر عليه ذلك استطلع رأي زوجته في الأمر فقالت له:

عندنا بكرة أمها ذلول، وهذه تعبر، وتتبعها الإبل، فقال لها إنها ليست ذلولاً ولم تركب بعد فقالت له:

ضع زمام أمها في رأسها وهي تعبر فاعترضها فقالت: إنها (بنت ذلول) وعلى كل تكون ذلولاً، وحينئذ وضع الزمام في رأسها فانقادت وعبرت الإبل.

ومن ثم تيقن الرجل صحة قول رفيقه من أن (بنت الذلول ذلول) وقطع في هذه التجربة التي أجراها على يد زوجته، وعلى هذا أخبر زوجته

بأنه سوف لا يرضاها، وأنه يخشى أن تكون ذلولاً كأمها فطلقها، ولم يسمع منها دليلاً أو كلاماً آخر بعد أن وضح له الأمر عياناً في المثال المضروب.

ثم تبين للزوج أنها كانت قد خانته ولكنه لم يستطع أن يعلم ذلك وإنما عرف الحقيقة بعد أن تزوجت بآخر فظهر عليها ما كانت تكتمه خفية.

وهكذا تضرب الأمثال في رداءة النسب وما يجر إليه، وصلاح النسب وقيمته الأدبية وفي الخؤولة لا ترعى القاعدة دائمًا، وإنما يتزوجون من القبائل الأخرى المماثلة ومن أكفاء القبائل، ولا يشترط أن يكون من نفس القبيلة وإنما يقصدون بالمخول المخول الرديء وقد مر أن بعض القبائل تزوجت رؤساؤها بنساء من قبائل أخرى لا تمت إليها بصلة.

المهر ــ الحداد:

يلاحظ في الزواج أنه تابع للرضى، ومقدار المهر مختلف جداً، والزوجة لها مهر يقال له (هفيان)، أو (الهافي) وهذا تستحقه بالزواج، ومهر آخر يقال له (النميان) وهذا عند النزاع والتفاخت (الطلاق) يعاد إلى الزوج وأكثر ما يتوضح في قضايا صليب.

وهناك شيء شبيه بالنهوة وهو أن الزوجة إذا لم تأتلف مع زوجها، ناصرها أقاربها في تقوية هذا الخلاف وتفاختوا (تطالقوا)، ولكنه في هذه الأثناء قد يشعر الزوج بأن في ذلك تدخلاً، وأن هناك من يرغب في التزوج بها بعد طلاقها، وحينئذ يستعمل الزوج حق (الحداد)، وهذا الحق هو أن ينهى الزوج أولئك المشتبه فيهم في التزوج بها بعده. ينذر أولياء الزوجة فينهاهم بمحضرشهود وينهى المشتبه فيهم، ومن ثم تكون له المطالبة بهذا الحق عند حصول الزواج بعد الفراق وهذا محدد في التزوج بمن عينهم خاصة.

جمــال البــاديــة:

وصف الشعراء في الجاهلية المتجردة وغيرها فأبدعوا، والمتنبي (ظباء الفلاة) ورجحهن على الحضريات فأجاد كل الإجادة، ولكن لا يقل عنه في الإبداع والإجادة ما نسمعه من شعراء البدو من نعوت بنات اليوم، وقد يزيدون في كثير من الخصال والجمال الطبيعي فإذا تعشق البدوي ينطق ويستنطق، وليس هناك ريبة، ولا ارتياب، بل قد يكون واسطة تحريك النفوس، ولا يتجاوزون في الوصف إلا إذا كان بطريق التعمية دون ذكر الاسم أو بيان ما يدفع الشبهة كأن يقول حبيبته في موطن بعيد يصعب الوصول إليه، ويبدي حيرته في عظم الشقة، ليبعد سامعيه عن مراميه.

يحكون أشبه ما هو معروف بالروايات، وتصوير حوادث أشبه بحادث المتجردة، أو يصف ما جرى بينه وبين محبوبته كأنه واقعي، وهناك الاستجواب والحوار ولا يستطيع أحد أن يصرح باسم وإنما يعد هذا عيباً كبيراً ويؤدي إلى نتائج وخيمة، فهذا سالم بن عبيد الرشيد يصف وصفاً لا يقل عن شعر عمر بن أبي ربيعة قال:

البارحة يوم القبايل نعوس	وخليف ساهر والمخاليق غافين
لقيت غرو دالع باللبوس	قالت لغيري، قلت انتي تشدين
قالت أصيح وقلت ما انتي عروسي	والله لا صيح لو بغيتي تصيحين
قالت يجونك قلت ماني نسوس	الله يحكم باليس وانتي تشوفين[18]
قالت تعلم قلت ماني بلوس	وعلي العلم يا بنت ما حدني شين

ومثل هذا حكاية أخرى لشمري[19] يصف بها امرأة، ولا تعدو التصوير قال:

---

(١٨) الله: الاه ـ أي إلا أن.

(١٩) هو بصري الوضيحي وانظر الشعر عند البدو ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

غاب الحليل وشفت بالترف ميلاح وجيت اتخطى جن اهلها نسابة
قالت تقلع لا ارهج النزل بصياح ماني من اللي بالردى ينهقي به
قمت انبطح له واديره بالامزاح لان الحبيب وقام يضحك بنابه
ثار الحبيب وطبق البيت بسياح وكشفت عن نابي الردايف ثيابه
غطيت بالثوب الحمر زين الملاح لما شعاع الصبح بين سرابه
قالت تنقل والا هذا الصبح باح ووداعتك اعراضنا والحزابة[20]
وقلت ماني عفن للسر بياح اللي ليا قفى رفيقه حكى به

وأراد أن يبعد المرمى، ويزيل الشبهة فقال:

علمي بهم يا غنيم يوم المطر طاح واليوم ما ادري وين ربي دوابه
ما ادري مع اللي سندوا يم الاسياح والا ويا اللي فيضوا يم طابة

وهكذا يقول آخر:

يضحك بحجاج العين كله رضى له مخفي كلامه خايف من دناياه[21]
والعارض المنكاد من دون خلي والوشم وسدير وجملة قراياه[22]
ما ياصل المجمول كود فاطر لي مكملة المرباع والصيف ترعاه

يريد أن عشيقته تضحك له بحجاج عينها، ولم تطق أن تظهر نفسها، ولا تبدي كلامها خوفاً من أقاربها الأدنين، ولما رأى أن قد أوجسوا منه، وشعروا أنه يعني من عندهم صرف الأنظار إلى محبوبة بعيدة في مواطن عددها بينها وبينه، وهو لا يستطيع الوصول إليها، فشوش الغرض، وغير القصد، وأعلن حبه كما يريد وأبلغها ذلك.

---

(٢٠) عند العزاوي والكمالي: تنقل هذا. . عرضنا.
وهاتان الروايتان تخلان بالوزن.
(٢١) عند العزاوي: يضحك لي.
(٢٢) في الأصل: مع جملة.

ولابن رشيد[٢٣]:

يا حمود انا عارضي شاب وطرد الهوى جزت انا منه
يا كود وضاح الانياب هذاك مني وانا منه
الزين لو هو ورا الباب لزم عيوني يراعنه
نبنوبة حشو الاثياب ونهود للثوب زمنه
وياما حلا جدع الاسلاب واركاي سني على سنه

فأجابه حمود:

وصلت خيراً يا محفوظ!

ويطول بنا إيراد ما هنالك مما يصور نفسياتهم المختلفة من حب وخلاعة وإعلان أغراض متنوعة!.

ولهم في الوصف وإبداء الحب لا تلاعب وتنوع، كل يحكي نفسيته وينطق بما خالج ضميره وهم أقدر على البيان، وأسرع في إدراك الدقة والملاحظة وما تأثر به من الجمال وهذا كثير لا يحصى حتى إن بعضهم قال لي لو أردت أن تكتب حمل بعير كتبت، وقديتها لك القوم، ويقع التزاحم على المورد العذب، فيكون ذلك من أسباب إهمالهن أو تأخرهن مدة خوف الفتنة، ومن جراء كثرة الرغبات.

وقد تطالب المرأة بشعر وتبدي رغبتها من جراء ما ترى من تزاحم وأن لا يتمكن الواحد من الإقدام عليها.

وهذه البدوية وهي مويضي المطيرية تقول:

يا عم جيتك بالتشكى دوك الركايب بروك

(٢٣) هذه المجينية لمحمد العبدالله الرشيد ونسبت خطأ لعمه عبيد. انظر الفنون الشعبية ص ٥.

يـالعن ابـو عمـر مـا تـزكى تـر زكـاة العمـر هـز الـوروك

وأحياناً تؤدي المنازعات إلى قتال عنيف.

وبعض جميلات البادية طلبهن رؤساء كثيرون فلم يوافقن إلا على من كان شهيراً في عرافة نسبه، وله الذكر الجميل في الشجاعة والحرب ويطول بنا ذكر من اشتهر بالجمال.

والحاصل بعض عوائد القوم في الزواج مقبـولة، وبعضهـا مثل (النهوة) مدخولة ولا نلاحظ فيها الكفاءة وحدها وإنما هناك المنع عن التزوج بمن تحبه لمجرد أن الناهي ابن عم، أو مائل.

والزواج عندهم جار على قانون الشرع، وعلى العقد الصحيح، بل اختيار النسب هو المقبول المعتبر، وكل هذا لا يجعل ريباً في أن الأمومة لا أصل لها وأصول الزواج المعروفة قديمة جداً، لا تفترق في أحكامها اليوم عن ذلك[٢٤].

□ □ □

(٢٤) عشائر العراق ١/٣٣١ ـ ٣٤٢.

- ٦ -
مختارات من الشعر العامي

- ١ -

من شعر ابن حنتم

قال صالح بن حنتم الحربي من بني سالم:

كان المرد الشيب يا مبغضينه

فكاك قالات الرجا جيل شايب(١)

ينطح حمالة وارتفاعة يمينه

والعمر قافية الفنا والنصايب(٢)

شيب بلاذمة دمار وغبينة

ويدخله بالكذب كثر الطلايب(٣)

كم شيبة عزرة بنفس مهينة

باردى المذاهب والحيا منه غايب(٤)

وكم واحد يظهر ويفهق سنينه

والدين والدنيا نصيب ووهايب(٥)

---

(١) المرد: القصد.. قالات: مشاكل وأعباء.. لأنه يحدث من المشاكل كثرة القول والتناجي.. الرجاجيل: الرجال.

(٢) ينطح: يتلقف.. حماله: ما يتحمله.. وارتفاعة يمينه: وترتفع يمينه.. قافيه مقتفيه.

(٣) غبينة: غبن.. كثر الطلايب: كثرة الخصومات.. سميت بذلك لأن المدعي كثير الطلب لخصمه في المحاكم.. ويلي ذلك كثرة الطلب للبينات واليمين.

(٤) عزرة: بغيضة كؤودة.. باردى المذاهب: يريدون بالمذهب الخلق والسمت... يقولون: فلان ردىء المذهب.. أي الخلق.

(٥) يظهر: يخرج إلى الوجود.. يفهق: يؤخر.. والانفهاق السعة كما ورد في قافية الأعشى يمدح المحلق.. والتأخير مجاز من السعة.. سنينه: سني عمره.

اللي بلاه القل ربي عوينه
يبريه من يبرى غميز الصوايب[٦]

وقال صالح بن حنتم الهليمة كما وجدت في كراسات الشيخ منديل:

يـاما على الجاهل يفوتن الافوات
ويـاما على العاقل تصير البلاوي
من لا يجي الدنيا بميز وحيلات
يصير عقله والهبال متساوي
راع الحساني ما يجازى بسيات
وراع الصخا حبله طويل رهاوي

□ □ □

---

(٦) اللي: الذي.. بلاه: داؤه.. القل: قلة ذات اليد. عوينه: معينه.. يبريه: يشفيه من الفقر من مادة برىء.. غميز الصوايب: من في جسمه مغمز من الإصابات.

قال أبو عبدالرحمن: رويت هذه القصيدة عن أبـي محمد منديل الفهيد متع الله بحياته.

- ٢ -

أبيات الجنوبي على قافية النون

وجدتها في كراساتي منسوبة لجري الجنوبي من أهل الخرمة ولا أدري عمن رويتها:

يا أهل الركاب اللي مع الصبح مداد
بالله عليكم ريضوا واركبوني

لا عاد أنا بالشام وأهلي بالأنجاد
اياتكم يا أهل الركايب زبوني[١]

واذكر لكم ماني شفيق على الزاد
ولا نيب عن رد الركايب مهون[٢]

أيضاً ولاني للجمالات جحاد
أشكر ثناكم والعرب يسمعون

□ □ □

---

(١) أياتكم: أي منكم؟
زبوني: من يقبل إركابي.
والزبون من يعامل التاجر والحانوتي ومن يسوم السلعة. وقد مضى شرح هذه الكلمة في أحد الأسفار.

(٢) مهون: صيغة مبالغة بمعنى كسول محرفة عن التهاون.

- ٣ -

قصيدة البرازية على قافيتي اللام والنون بوصل الهاء من لحن المسحوب

سمعتها من الراوي فارس زيد كاملة ونشر معظمها ابن رداس[١].

وهي لمويضي البرازية تمدح شيخ البرزان حسيناً أبو[٢] شويربات.

قالت مويضي:

يا راكب ملحا تبوج اشهب اللال	ايضا ولا فوقه رديف شحنها[٣]
ما فوقها الا الخرج ودويرع مال	وقريبة تو المسوي عدنها
اقطع لها من عادل السدر بعدال	واستدن له النايفة من شغنها[٤]
اول نهارك في تزوبيع بزرفال	وآخر نهاره طاير الربخ عنها[٥]
ملفاك بيت نايف كنه الجال	بيت الارامل والعجايز كهنها[٦]

---

(١) شاعرات من البادية ١/١٩٩ ـ ٢٠٠ وكنز من الماضي ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) يرد عندي مثل هذا الضبط كثيراً على سبيل الحكاية.

(٣) عند ابن رداس: ولامعه.. محنها.

(٤) هذا البيت لم يرد عند ابن رداس، وعند الأصقه: معدال.. واستدنها بالنايفة.

(٥) عند ابن رداس:

اول نهاره بس مشي وزرفال   وآخر نهاره نفض

وعند الأصقه: اول نهاره زميعي وذومال.. وتالي نهاره طير.

(٦) عند الأصقه: بيت لرمل العجايز.

عند ابن رداس:

ملفاك بيت ربعته كنها الجال   وإذا لفيت فحط عنها رستها

تلقاه ساعة تلفي العصر بالحال	والى لفيت فحط عنها رسنها[٧]
تبشر على قبل التناشيد فنجال	وحايل ثلاث سنين يندى صحنها
قل كيف رجلك يا حمى كل مشوال	اليا طار عن جرد السبايا يقنها[٨]
خيالكم يوم اشهب الملح ينجال	هذي يصوبها وهذي طعنها[٩]
وان جانهار مثل يوم ابن هذال	تشهر شياهنيه وتجلد عدنها[١٠]
يا ريف بيض تشتكي رقة الحال	حبالهن لبطونهن حزمنها[١١]
ليا قام نجم سهيل يشعل بالاشعال	يوم الرحى ماعاد تسمع طحنها[١٢]
لعل شرك ينقسم بين الانذال	واقول يا رب الملاعف عنها[١٣]

□ □ □

(٧) عند الأصقه:

تلقى ساعة تلفي العصر فنجال وحايل ثمان سنين يندى صحنها

(٨) قيل إن حسيناً أصيب في معركة فقالت هذا البيت بهذه المناسبة.

(٩) لم يرد هذا البيت عند ابن رداس.

(١٠) عدنها: أرانبها كناية عن الذل والجبن. وعند الأصقه: الى جانهار.. حرارها تشهر وتخمر عدنها.

(١١) لم يرد هذا البيت عند ابن رداس.

وعند الأصقه: ببطونهن.

(١٢) لم يرد هذا البيت عند ابن رداس، وعند الأصقه: إلى قام.. يسمع.

(١٣) عند ابن رداس:

عسى مرضها..

حتى تطيب ويذهب الشر عنها.

وعلى هذه الرواية يكون المقصود رجل ابو شويربات.

ـ ٤ ـ

قصيدتة شامان السهلي
على قافية الدال

هو شامان بن مطلق من الظهران من السهول أصيب في المعركة فلما غادره جماعته تأسفوا فعادوا إليه من مكان بعيد وهم بالصمان لينقذوه أو يعلموا خبره فيخبروا أهله فوجدوا رجلاً حمله وعصب رجله فأخذوه منه وشكروه.

وساروا به على عمد البيت ووضعوها على هيئة سرير إلى أن أوصلوه إلى أهله.

فقال شامان بهذه المناسبة يثني على جماعة:

البــارحـة عيني تهنت منــامهـا	ليــل على عيني عسـاه يعــود
ظنيت في ربعي ولا خاب ظني	وجوا فوق ظني كـاسبين الجود
ما منهم اللي كثر الهرج واعتذر	والكـــل منهم عقب الـمنـقــود
جوني على هجن من البعد ضمر	شيب محــاقبهـا وفــج عضـود
جـوني ورجلي توهـا بالجبـايـر	والحـــال مبـري ســواة العــود
وقالوا تريح واترك الهم والغشا	محمـول فوق كتـوفنا بـركود[١]
وسووا لي العمدان من فوق متونهم	وقــالـوا تــريـح مـا علينـا كــود
ما منهم اللي قال حفيت مناكبـي	ولا ينهزع لو بـان فيه لهـود[٢]

(١) عند منديل: فوق امتاننا.

(٢) عند منديل: ثقلت منكبـي.

ما فيهم الخايب ولا فيهم الردي ولا فيهم اللي هـافي بجـدود

اليا قلت ذا الطيب الى ذاك مثله كـل من الطالـة يـريـد الـزود

يتلون شيخ مـاضيـات فعـولـه ما هوب من شيل الحمول صدود

يتلون راعي الـطايلات مناحي شيـال حمـل العـرو والمشـدود

يتلونـه الـظهـران كسـابـة الثنـا فحول الرجـال وبالـزحام اسـود

ظهران يسقون العوادي من الكدر ويحمـون لاقيـل البـرا مـردود

ظهران عز الجار والضيف والخوي يفـرح بهم من باللقـا مـظهـود

اقـول لي قـول صحيـح مـوكـد عليـه ربـي والعبـاد شهـود[٣]

اقول قول الصدق ماهوب باطل مـانيب نسـاي الجميـل جحـود

يستاهلون الجود والمـدح لابتي اعـداد ماهبت هبـوب النـود[٤]

قال أبو عبدالرحمن: سمعتها من إذاعة الكويت[٥].

□ □ □

(٣) عند منديل: والرجال.

(٤) عند منديل: المجد والمدح.

(٥) ونشرها الشيخ منديل في كتابه ١/٢٥١ ـ ٢٥٢.

ـ ٥ ـ

قصيدة ابن سالم
على قافية الدال

هذه للأديب محمد بن عبدالعزيز بن سالم من أهل القرائن وهو ابن عم شيخي عبدالله وعبدالرحمن ابني عبدالعزيز بن سالم من بني خالد رويتها عن والدهما رحمه الله في حدود عام ١٣٨٠هـ:

الفقيـر من العـطا مـا يغتني	لو عطي مال النصارى واليهود
كـود من منشاه مغنيـه الـولي	رازق العميـان واللي مـا يفـود
لايمي جعله عمى مـا يقتـدي	جعل ماله من عياله من يقود[١]
اصقه في السوق ما يوحي الحكي	والصـواعق يـوم حنن الـرعـود
اسم خلي في البحر تحت الجدي	. . . . [٢]
دونـه الشـاذوب والمـا يحتـدي	والسمـك ينفاه مثـل اللي يذود
احــرف الخيــال دلى ينـتحـي	في ظهرها ناشب بين البدود[٣]

والقصيدة أطول من هذا لم أجد من يرويها لي كاملة، إلا أنني سمعتها في الصغر أكثر من ذلك فسجلت ما عرفت منها صوناً لها من الضياع.

□ □ □

(١) عمى: أعمى.

(٢) لم أحقق رواية الشطر الباقي. والشطر الأول رمز لاسم (حصة).

(٣) دلى: صار.

- ٦ -

ميمية دشن العرجاني

سمعت بصوت حمد أبو شبيب السبيعي هذه القصيدة لدشن بن حسن العرجاني اليامي:

يـا الله يـا اللي مـا لنـا غيـره الـه
منشي اللحم والجـلد فـوق العـظام

الله عـظيم الشـان من عقب منشـاه
نشى القمـر والشمس تجـلا الـظلام

الله واكـبـر مـا خـلق ربـي افـنـاه
وتفكـروا يـا اهـل العقـول الفهـام

يـا جب على المخلوق خوفـه وتقواه
واطـاعـة الـخـلاق صـلى وصـام

صلى وصـام وقـام في طـاعـة الله
قـامـة نصـوح منصـح بـالمقـام

يـاخـذ كـلام الله ويـتـلاه بـقـراه
في روضـة المسجـد خـلاف الامـام

مـراعـي دينـه عـسى الله يـرعـاه
ومـعـامـل الـحـج في كـل عـام

مغـرور يـا اللي غـره المـال واطغـاه
يـمـر دونـه مـثـل مـر الاحـلام

وخسـران يـا اللي بـاع دينـه بـدنيـاه
وقسمـه من الدنيـا طرف ثـوب خـام
لا طـاوع الشيـطان فقـداه مـا جــاه
والى درى انــه ضــاع عظ الابهــام
تـرى الكلام الصـدق لا جـاك تلقـاه
مثـل الحـديـد اللي قضبـه اللحــام
وتـرى الشعـر مــا يصلح الا بمعنـاه
وتـرى الهدف مـا يطرحـه كـل رامي
مـا قل دل وابـا اذكر الله ولا انسـاه
وعـلى النـبـي مـنـي صــلاة وســلام

وقال أبو عبدالرحمن: مستواها الفني ضعيف وإنما منهجي الاحتفاء بما لم ينشر من الشعر القديم فلعله يوجد فيه ما يفيد في الدراسات التاريخية والاجتماعية واللغوية.

□ □ □

- ٧ -

بائية عمعوم بوصل الهاء، ورائية زوجته

سمعت بصوت الأخ إبراهيم اليوسف هذه القصيدة لعمعوم العسكري من الدغمان من الرولة:

اسمع جواب اللي تقولون عمعوم
العسكري راعي العلوم العجيبة
اليوم انا من زايد الربع مسموم
الطيب سندا والمراجل صعيبة
اول مناتي ذبحة الكبش لسجوم
ونحط من فوق المناسف عصيبة
وثاني مناتي مهرة تسبق القوم
من فوقها ذود المعادي نجي به
وثالث مناتي عومة بالغضي عوم
وريم الخضيري في ملاوي الدويبة
وطير بلا جنحان ما يدرك الحوم
واللي على رجليه ياويش طيبه

وقالت زوجته تخاطبه كما سمعت من الأستاذ إبراهيم اليوسف:

عمعوم لا تشرب من التتن كرة
احذر ترى شربك من التتن يدمرك

عنـــدك مجـــاهيم تقـــل لـــون حـــرة

وبيت كبيـر وضـامـــر البـطن ينحـــرك

ومـــهيـــرة بـــنـت الـــعبـيـــة نبـــره

ومشلشـــل عـــود البلنـــزا على ظهـــرك

وخـطو الضنا لـوجـاك مـا بـه مسـرة

اللي الى كـبـــرت عـــلابيـــه وخـــرك

وان كـــان ربـــك نـــاوي لـــك مســـرة

انـــزل عليك اسبـــاب الاقدار واظهـــرك

وان كـــان ربـــك نـــاوي لـــك مضـــرة

لو كنت في عالي الشخانيب حـــدرك

□ □ □

- ٨ -

بين حضري وبدوي

قال أبوعبدالرحمن: حدثني أبوسليمان: عبدالله المشاري بمدينة بريدة صباح يوم الجمعة في ١٦/٢/١٣٩٧هـ مشافهة وإملاء فقال:

إن شاعراً نبطياً من قبيلة عتيبة دخل مدينة عنيزة، وحضر مجلساً حافلاً، فقال:

الفضة اللي جالها بالبلد دنين   هي وين هي يا من خبر جلابها؟!

قال ابن مشاري: يحتمل أن يكون هذا الشاعر العتيبي هو الشاعر المشهور بالغرمول.

ويحتمل أنه يرمز بالفضة في هذا البيت للشاعر المشهور: عبدالله الدويرج لأنه جاء يسأل عنه ليساجله.

وسكت الحاضرون لم يجاوبوه لأنهم في منزل صديقهم فلا يجاوبون إلا بإذن صاحب المنزل. هذه عادتهم.

فلما أذن لهم برز غلام بآخر المجلس، وقال:

عندك حضر يا اللي تمنى الغايبين   جلابها يا اللي تعرف حسابها

فقال العتيبي:

حنا لكلش يا الغليم فاهمين   لا شك شل رجليك قدم نشابها[1]

---

(١) لكلش: لكل شيء.. نشابها: نشوبها.

فقال الغلام:

أنت تـوعـدنـا وحنا مـرتكين   من طلب بالميدان شال ترابهـا

فقال العتيبـي:

يا مال فرقا العين حضر طامعين   هي كيف تطمع والطمع باسلابها؟!

فقال الغلام:

يا ردي عقل البدويا اللي حاضرين!   بدو همج دقمنا روس حرابهـا

فقال العتيبـي:

حنـا عتيبة من قـديم مجـربين   الحيـة اللي سمهـا بـانيـابهـا!

فقال الغلام:

حنا هل الفيحـا مفرقـة الظنين   لاجـا نهـار مـا يـطيـر غـرابهـا

فقال العتيبـي:

بليتني والله يعين الصـابـريـن   واللي يبـي النشبات يفتح بابها

فقال الغلام:

توعدني باللزق يا العيـر المتين   والبومة. الخرسا قصـر مخلابهـا

□ □ □

ـ ٩ ـ

قصيدة الحسني على قافية الهاء

بنو حسن من قبائل الأردن، وعندما صدوا هجوماً لبني صخر قال شاعرهم[١]:

ألا يـا راكب من فوق مـوجـة	نسوم الريـح لن خفت خطاهـا
عليها شداد من صنعـة شراري	والخرج عقيلي زاهي في غواها
عليهـا غلام من تـرثة حمـولـة	في مشي الليل ما يهاب سراها
زهـا بهـا حب البعـر المحلل	رضي الخال ما يدني عشاها[٢]
وفطت من جرش ثارت خريعة	على ياجوز وردن في دلاهـا[٣]
وردت في علم هـا الحسينيـة	سموم الموت من ها اللي دناها
اللي منكم علتـه مـا بـريت	على أول صيف نسحن في خلاها
دواها المسلح باعداد الدن نشاما	وكم سـابق نـطفس غـواهـا
وعيـال الناس قـاموا ع بعضهم	ولي الـروح بيـد اللي ولاهـا
وعيـال الناس قـاموا ع بعضهم	واللي لـه هـويـة مـا ولاهـا
أم السمـاق تذكـر سـوق راوي	وجلبها جلاب رخصن مشتراها

(١) انظر المجتمع البدوي الأردني ص ١٣٧ ـ ١٣٩ مع مقتطفات من شرحه.

(٢) حب البعر: لعله التمر تشبيهاً ببعر الجمال، أو لعله ما ينبت من تربة سمادها البعر.
ما يدني: لا يقرب.

(٣) فطت: نهضت.. خريعة: خائفة كناية عن السرعة.
وجرش وياجوز موضعان في الأردن.

- ١٠ -

قصيدة مجيدع الربوض الشمري
على قافيتي الراء من لحن المسحوب

أغار مجيدع هو وثمانية من جماعته الشلقان سنة ١٣٠٧هـ على قبيلة الحويطات بالأردن فأخذ إبلهم فأدركهم طلب الحويطات على الخيل وبعد قتال شديد قبل الشلقان المنع على أرواحهم فقط.

وقد أصيب مجيدع بجرح خطير وبعد ممانعة شديدة من مجيدع لرفاقه أقنعهم بأنه مفارق الحياة لا محالة وأنهم حفاة راجلون في مهلكة فعليهم أن يتركوه وينجوا بأنفسهم فلما انفلتوا عنه رأوا الطيور تحوم حوله عادوا إليه وحملوه على رغمه وظلوا يتعاقبون حمله خمسة عشر يوماً حتى أوصلوه مضارب قومه شمال نجد[١].

وبهذه المناسبة قال مجيدع:

البارحة عن لذة النوم سهار	بايسر صرغ لاجاه وبل الشخاتير[٢]
في سهلة مازان به نبت الاشجار	ولا قيل به غرز العشاير مخاضير
ولا عمر قالوا به هاك النجع دوار	ولا شيف به سود المباني مقاطير
عسى الى جا من اول الوسم مبدار	يخطي جنابه ما تجيه القواطير

---

(١) أورد القصيدة كاملة الأصقة في كتابه كنز من الماضي ص ١٥٦ ـ ١٥٩ والكمالي في الشعر عند البدو ص ٣١٨ ـ ٣٢٥ وعطار في الحويطات ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) عند الكمالي: بايمن صرغ.

وقع عند عطار ثالث بيت هكذا:

ايمن صرغ لا جاه لعاج الامطار ولا جاه من نون الثريا شخاتير

حنا ربيع وشورنا بس مشوار والسيف ما يقطع بليا شوابير
ومشيك ضعيف هو سبب جعف الاثار لا صار ما باطرافهم شور ومشير
لا صار ما انت لزايم الجمع قهار تعزل كمينه عن شذا القوم وتغير
ولا صار ما من طيب الاشوار تختار هوش بقل ما يجي به مقاهير
والقل ما يدي حسيب الى ثار والكثر تاكل به قصار المناقير
حنا ثمان وكسبنا جل وبكار حمر وصفر وفاصلاته مغاتير[3]
جبناه ليلة رابع حث الاوبار شقح كما الحيطان برص المياخير
ولحقوا هل البل فوق عدلات الازوار قب تفاهق روسها كالخنازير[4]
قبل بغونا طفحة قبل الافكار لاما جبرناهم على المنع تجبير[5]
حين التقينا لا الدعيجات حضار تطابقوا بخشوم هدف المناظير
كم واحد من ضربهم طاح ما ثار لجن عليه مخوتمات الدواوير
وشمننا واقفوا مع الدو عبار وحصل لهن من صافي الملح تثبير
والعنك يا حظ ربض عقب ما ثار فزيت له بالليل واصبح معيثير
من عقب ماني للمناعير سبار اليوم يا مشكاي للرجل ما ادير[6]

---

(٣) عند العطار:

من ايسر الزملة الى ايمن الطار حمر وصفر مخالطات المغاتير

(٤) عند الكمالي: روسهن.

(٥) عند الكمالي:

ربع بغونا طمعة قبل الاشوار لكن جبرناهم على المنع تجبير

وعند العطار مع خلل في الوزن:

واخذونا بطفحة ما لها ثار وحنا نمنعهم على المنع تقدير

(٦) عند الكمالي مع خلل في الوزن:

قبل امس وانا للمناعير سبار

وعند العطار:

من عقب ماني للربع سبار اليوم انا من مقدم الرجل ما ادير

قلت ارشدوا حقي من الاخرة صار	انصوا اهلكم يا حماة المظاهير[٧]
قالوا علومك ما لها عندنـا كار	هي نيتك والا تقوله مصاخير[٨]
اركب على الامتان عدك على حصار	اركب علينا اكفاك منا العوائيـر
ركبت فوق اثنين واثنين حضار	وغدوا الي اجواز تقل حطحطة ظير[٩]
من يوم يوحوني من الشيل جضار	دلوا يهجرون الخطا لي بتقصير[١٠]
متكيف عـدي على كـور عبـار	متمركي من فوق متون المناعير[١١]
حفـايا بـالقيظ وجهيـل وصغـار	وش لون لو عقيلهم لي حواضير[١٢]
ودبقت لدم وجيههم كيف ما غار	تقل بدات للمصنع مسايير[١٣]

(٧) عند الكمالي: مـع السلامـة يـا حمـاة المظاهـير

(٨) عند الكمالي:

قالوا نشيلك فوق الامتان بحصـار ذرب كـلامك لا تقـول المصاخير

وعند العطار:

اركب على المتنين كني على حصار بحلت انا في دمهم كيف ما يضير

(٩) عند الكمالي:

اثنـين لي حـظاي واثنـين حضـار غدوا لي اجواز تقل حطحـطة بير

(١٠) عند الكمالي:

والى اوجسـوا اني من الشيل فتـار قـامـوا يقـرون الخطا لي تقصـير

ويستقيم لو قال: بتقصير.

(١١) عند الكمالي:

خمسة عشر ليلة وانا تقل بحصـار متمـركي تحتى ظهـور المنـاعـير

وعند عطار:

عـلى المـتـن المـتـن صـبـار متلقـح من فـوق روس المناعـير

(١٢) عند الكمالي: جهال.

(١٣) دبقت: أنعمت النطر. والعامة تقول: فلان دابق، وفلان يدبق لكل شيء إذا كان ينعم النظر في كل شيء ولا يترفع عن الحقير من المتاع.

عند الكمالي مع خلل الوزن:

عجبت لدم وجيههم كيف ما غار كـانهم بـداة للمصنـع مسـايـير

والمصنع هو المسرح.

مع سهلة العوجا مطابيق وديـار — تبت حيل مهاوزات البواكير[١٤]
ما يقطعه كود النضا تقل شنار — سباع تخطف فوق مثل الشنانير
خوالي اللي ما بهم صنع شبشار — زمل التخوت مسهلات الحداديرٍ[١٥]
ومعهم هديب الشام نقال الاقطار — زود على حمله يشيل القناطير[١٦]
واعرف الى جاد أول العش ما بار — لازم من التالي يجي له نوادير[١٧]
وأنا أحمد اللي زينه عقب ما صار — وضبه من الجمة على عالي البير[١٨]

□ □ □

---

(١٤) عند عطار مع خلل الوزن:
يا ديرتي العـوجا مسـانيد واعجـار — بتت حيـل مقـادرات البـواكـير
ويستقيم لو قال: بحيل.
(١٥) عند عطار:
عقبه خوالي مـا بهم صنع شبشـار — .... الحوادير
(١٦) عند الكمالي: نقل حمل مادير.
وعند عطار:
معهم هديب الشام شيـال الاقطار — ايضـا نقل حمله عـلى حمل مـاديـر
(١٧) عند الكمالي:
تـراه الى جاد اول العش مـا بـار — لازم ان التـالي يجي بـه نـوابـير
(١٨) عند الكمالي:
حمـدت ربـي زينـه وال الاقـدار — زفن من الجمـة عـلى ملفظ البـير
وعند عطار زيادة هذين البيتين:
هبيت يـا حـظي عقب مـا ثـار — بيت بخشم الـطار واصبح معيثـير
ويستقيم لو قال: على عقب.
لجـة حيـارينـه عـلى فـج الاسفـار — ازرام مـزن مـفيـظات حـواديـر

- ١١ -

من شعر ابن قويفل بوصل الهاء

من عادة العرب إذا حصل الجدب وشحت الإبل بلبنها التجأ الفقراء عند الأغنياء، وكان عند حمود بن قويفل رعيتان والثالثة زمل فكان يذبح كل يوم واحدة ويوزعها وذات مرة نسيت زوجته جارته لم تعطها فخفف حمود ليقسم نصيبه من اللحمة بينه وبينها بموس فنشب الموس في العصب فجره بعنف فضرب الموس عينه فجرحها ففقد نور حبيبتيه وكان قد فقد الأولى من الصغر.

ويقال إن الشيخ عبدالكريم الجرباء لما بلغه الخبر بكى، وقد أخبره أحد اثنين وفدا عليه من جماعة ابن قويفل فقال الآخر إن ابن قويفل عولجت عينه في المدينة المنورة فبرىء لأن ضربة الموس كانت في جفنه، وقد كذب في هذا الخبر وإنما أراد التخفيف على عبدالكريم لما رأى شدة جزعه فأعطاه فرساً، ولما عاد الوافدان اختلفا في الطريق لأن من أعطاه الجرباء فرساً ادعى زميله أن له منها النصف وقال نحن زميلان وقد حملتك على راحلتي.

فقال زميله: إنما أعطاني الجرباء الفرس وحدي.

قال: أنا أعلمت الجرباء بالحقيقة وأنت كذبت عليه.

فقال: كذبـي أضحكمه فجاد بالفرس، وكذبك بكاه.

وتداعوا عند العارفة فحكم بأن يعودوا للجرباء ويستفهموا منه، فلما رجعوا للجرباء أخبرهما بأن الفرس لمن أعطي إياها وأعطى الآخر فرساً.

وقد قال حمود بن قويفل هذه القصيدة بهذه المناسبة[1]:

قال ابن قويفل والصلاة على النبي	لوعات بقعا كل حي يذوقه
من قال من لوعات بقعا انا سالم	ما طير بر سالم من وهوقه
قم يا نديبي شدلي فوق شيبا	شيبا وكن الشب يطلي شدوقه
اركب على كوره ودور لي دوا	لعين تعرض شذرة السيف موقه
يا عين من يحري ويذري ويلقى	ويدي من القوم الحماقا حقوقه
عشير صعلوك قليل زمايله	عدو عفن كثر البخل نوقه

وإنما بكى الجرباء لعلمه بكرم حمود وأنه أبو الأيتام والأرامل. ولما بلغته قصة الموس قال: عز الله ما حسنى وقت ساية!.

وسمعت من رضيمان هذه الأبيات لابن قويفل يمدح آل شعلان[2] وكان قبل ذلك مجاوراً لهم:

اللي يكفون الشوارب بالايمان

هبيت ياخط تنحيت عنهم[3]

اقفيت عن ربعي عيال ابن شعلان

اللي كما شل الروايا طعنهم[4]

ما ينتحون الا بعليا وعليان

وان حل ضرب مخلص جيد منهم[5]

---

(١) سمعت القصة والقصيدة من أبي عبيد رضا الشمري وكنت قبل ذلك أحسبها لشايع الأمسح.

(٢) البيت زيادة من السديري.

(٣) ونشرها الأمير السديري رحمه الله في أبطال من الصحراء ١/٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٤) عند السديري: عن ربعك..

(٥) عند السديري: جيز منهم.

لبـاسة عنـد المـظاهيـر شيـلان	صديق عينك ما يطيح بحضنهم
نزل الخلا ماهم فراقين فقسان	ما سقسقوا للعنز تتبع ظعنهم(٦)
القلب ما ينسى طويلين الايمان	اللي يقـزون العدو عن وطنهم
قطعانهم وان غربت تقل غزلان	وان شرقت مثل البرد هاك عنهم(٧)

□ □ □

(٦) سقس: نداء للبهم من صغار الغنم. وعند السديري: سكـان.
(٧) عند الـسديري: شرقت في الشطر الأول وغربت في الشطر الثاني.

ـ ١٢ ـ

من شعر ابن نمر في رثاء زوجته

قال سلطان بن نمر من السحمة من قحطان يرثي زوجته[١]:

يا معمر الدنيا ترى الوقت غدار	خسـران يامن بـاع دينه بـدنياه
البارحة نومي هواجيس وافكـار	الله لحــد عــزاه للقلب عــزاه
لا غرد القمري على الدار يا ذعار	ركب اردعيه ضامري كل ما اوحاه[٢]
لج الضمير وهاض من بعض الاشعار	امراج من صدري تقارع من اقصاه
وقتي سقى سلطان من كاس الامرار	واحـر قلب اونس الحب حراه
ابكي من الوجلى على قد ما صار	مفجوع منصاع من الحزن ويلاه
اونس بجاشي كوكب توما فـار	مثل القدر يطفر على النار تنصاه
سار القلم باللي جرى بالقدر سار	واستحكمت اقدار يا طول هجراه
من ونتي يبست زماليق الاشجار	يا ناس من مثلي صبور بما جاه
والعين كن بهـا براعيق زنجـار	يحرم علي النوم ما قلت ما احلاه

---

(١) أظنني سمعتها من الشيخ منديل من برنامجه الإذاعي وفي الشوارد ص ٧٧ نشر منها ابن خميس البيت الأول فقط.

(٢) ركب أردعيه: ركب ردعه: أي لم يردعه شيء فيمنعه.

وأصل مجاز الفصحاء هنا أن الردع الزعفران وقد شبه به الدم لحمرته فإذا خر القتيل لوجهه على دمه قيل ركب ردعه ثم توسعوا في كل من يخر ثم ينهض ثم يخر وينهض وإن لم يمت ثم توسعوا في كل من يغالب ما يردعه. قال نعيم بن الحارث السعدي:

ألست أرد القــرن يـركب ردعـــه ... وفيــه سنـان ذو غـرارين نـــائس

وربما كان المجاز أقرب من ذلك، وهو أن يتجاوز الروادع كمن ركبها وأذلها.

من ونـة ونيتهـا وقت الاسحـار ونـة فطيم جـاير الحـرب يبراه
او ونة اللي له زمـانين به زار جاه الطبيب ولا عرف غاية دواه
او ونة اللي خاض غبات الابحار زادت عليه الريح والموج غباه
قالوا لي اصبر قلت للصبر مقدار طال الطويل وباقي الصبر ما اقواه
ابكي وليف حط بالقبر ابو غار عـزي لعين ما تهنت بـلا مـاه
يا قبر جبتك في دجى الليل خطار يا اشوف من حطوا وسادة زواياه
قالوا لي العذال لا صار ما صار دور وتلقى بـالعـرب كنـه ايـاه
انـا ليا دورت في كـل الاقطار يا وين ابا القى مثل وصفه وحلياه
ما القى مثيله بالمغارب والامصار ما ظنتي حسنه على الوصف نلقاه
عدم الوصايف هو وصيفه وحلياه ليله مضى خمسة وعشرين مبداه
مرحوم يا اللي ما بعد حس له جار الله يلم بشملنـا عقب فـرقـاه
الله يلم بشـملنـا لـم الابـرار في ظل سدر المنتهى عل نلقاه
الحب يا الاجواد ما فيه بيـزار وكل على قده شكى من رزاياه
خلوني افيض من الصدر معبار الله لحـد عـزاه للقلب عـزاه
ما احد من الدنيا سليم من الاخطار خسران يا من باع دينه بـدنياه

□ □ □

- ١٣ -

سينية عواد الوبيري

قال عواد الـوبيري من العفـاريت من شمر يخـاطب متعب بن عبدالله بن رشيد[١] مسترضياً له بعد غضبه على جماعته:

الله يعينـك يـا مـوالف عـطيـة	كيف انت يا شيخ كسبت النواميس
ويا شيخ تـرها عـزوة الشمريـة	ويا شيخ ترهم زوبع والسناعيس
اهـل اللحيسة كـانها بـالحميـة	واولاد علي مخضبين المتاريس[٢]
لا ضكهم مضنك خطاة الشكية	بمسكفات مـن الرماح المناسيس
وبيـدك شـامـان مثـل الحنيــة	وحلو اصطفاقك في وجيه الملابيس

□ □ □

---

(١) عشائر العراق ١/١١٧٢.

(٢) ظن العزاوي أن اللحيسة اسم لقبيلة شمر والواقع أنها لقب حصل للجرباء إذ برك ناقة في الصحن ودفنها بالرز ودفن معها عكاك السمن ثم ضربها بالرمح وقال: ارحبوا على اللحيسة!

واللحيسة شيء قليل للمذاق لا للشبع فوصف أصحاب الشمال بأصحاب اللحيسة.

ومن كلام العامة: فلان شمالي.

كناية عن الجزالة وتباله الكرماء.

وقد حضر مائدة الجرباء قروي من حاضرة نجد فقال: جعله ما يلحسك الشر، ما ذيب لحيسة [ما هذه بلحيسة] هذي قوت عمر!).

- ١٤ -
مناظرة كنعان الطيار للصياد وكلاهما من عنزة

تباحث الاثنان في أطايب الحياة وملذاتها ففضل الصياد الإغارة إذا نتج عنها غنيمة الركاب يقسمها العقيد خزيزة وعائد إلى آخر مصطلحاتهم.

أما كنعان فيرى أن الغنيمة من الملذات إلا أن المخاطر والمخاوف وراء ذلك، ويرى أن ألذ شيء أن يكون الإنسان في أيام ربيع وأن يكون مكفياً من الهموم وأن يكون له جار ذو دلال ونجر يعود فيزوره في الليل ويسمر عنده ويتبادلان الأشعار والأخبار، فإذا بقي في الليل نصفه أو ثلثه ذهب إلى فراشه تنتظره زوجة حسناء، وفي الصبح يزور آخر وفي الظهر يزور ثالث وهكذا.

فلما حصل بينهما الخلاف ذهبا إلى عارفة من عوارف البادية يسمى ضريغطاً ليحكم بينهما.

فقال الصياد:

لا يا ضريغط وانا اسيلك بالله	حيثك صدوق بحجة تبلى به
حيثك غلام ما تعد الا الصدق	ابدا علوم الكذب ما تشفى به
ايا البنات العطر وايات النضا	اللي تجيب من الخلا ركابه
حيل يقطعن الفيافي ضمر	وكل تورد لو وقى ميدابه

وقال كنعان:

لا يا ضريغط وانا اسيلك بالله	الكل منا عانى بطلابه

حيثك غلام ما تعد الا الصدق　　ابداً علوم الكذب ما تشقى به
ايـا البنات العـطر بايـام الرخـا　　اللي يشققـن النـهـود ثيـابـه
ارقـاب المهـا منـومـات السهـر　　كن العسل يدلك بروس انيـابه
ايـات سكن ما تبـاطـا نـومـك　　ايـام وايـات الخـلا وذيـابـه
والا الـركاب متيهـات بـالخـلا　　لـولا العـذارا عـازنـا ركـابـه
هن اللي يجيبن الفهما رجال مثلكم　　غوش تفك الخيـل من طلابـه
واطلب من الله حجتي مقبـولة　　وحجتك يا الصياد قل الصيـابة

وفي رواية: ينصك بابه.

وقد حكم الضريغط لكنعان.

قال أبو عبدالرحمن: الراوي رضا الشمري.

□ □ □

ـ ١٥ ـ

قصيدة الأحيمر على قافيتي الفاء والنون من لحن المسحوب

رواها سعود بن زبن المطيري لطالع الأحيمر من الصعبة من مطير وكان مريضاً في كهف جبل فطلب منه ابن أخيه عبيد أن يخرج من الكهف ليتبرد في فيء الجبل.

قال له: هايف. أي اخرج إلى حيث البراد والهواء، فقال طالع:

قالوا تهايف قلت ما نيب مهايف	يهايف اللي فوق زلبات الاقران
ياعبيد يا ابن اخوي ويش انت شايف	ان كان مت وقربوا مني اكفان
انت تقدي موميات السفايف	والا تجنب درب ذرفين الايمان
ان جاهم السابر من الرجم شايف	تحزموا فوق المحازم بشيلان
وتحاولوا من دون حم الشعايف	وتعاقبوا من دونهنه بالاكوان
احد كسب نوماس واحد مسايف	واحد رمي للطير الابرق وسرحان
وليلة لفينا عند اهلنا نكايف	ويعلمون بما فعلنا وبما كان
كم عيطموس كبت الشوق عايف	تبي من اللي جالهم فعل واكوان

□ □ □

ـ ١٦ ـ

من شعر سعدون العواجي

قال سعدون يرثي ابنه عقاباً من لحن المسحوب.

أورد منها السديري رحمه الله عدة أبيات وسمعتها كاملة برواية رضا الشمري[١]:

البارحة عدي عناني صعانين	غضبان بالي ما تهنيت بمراح[٢]
على شجاع طاح والربع عجلين	يفدي بعمره يوم غولات الارواح[٣]
صكوا عليه اللي على الموت جسرين	لا وا بعيني ما يجاجون ذباح[٤]
تسمع بتالي الخيل حس المثارين	عيال الطنايا مروية علط الارماح[٥]
انا بلايه يا ملا خابر شين	تظهر علينا مسملات اليا راح[٦]
اللي يكف الخيل كف البعارين	ويرخص بروحه يوم يغلون الارواح
خيالنا لا طار ستر المزايين	ويرعى بظله بالخطر كل مصلاح[٧]
كبد نعالجها بعوج الغلاوين	وروابع ما تودع البال ينساح[٨]

---

(١) أبطال من الصحراء ١/٩٤ ـ ٩٥.

(٢) رواية السديري:

البارحة نومي بروس الصعانين   طوال ليلي ما تهنيت بمراح

(٣) هذا البيت زيادة من رضا.

(٤) رواية السديري: حالوا عليه.

(٥) هذا البيت زيادة من رضا.

(٦) رواية السديري: بلاي والله.. مرمسات إلى.

(٧) رواية السديري: خيالنا يوم اكتراب الميازين.

(٨) رواية السديري: ما تودع القلب.

وقال الشيخ سعدون العواجي في ولد ولده والراوي الشيخ منديل عن حماد شيخ المناقرة من بلي:

فاتت ثمان سنين والثـار غادي   مواكرك يا عقاب عقبانها صغار
عضود فرخك ما تجيـد الهداد   سنه صغير ولا تمكن من الثار
واليوم يروي مـرهفات الهنـادي   والخيـل من فعله هزايم وعبـار
يا عقاب دونك هايس جاك بادي   ثم انشده يا عقاب كيف الخبر صار
فرخ العقاب اللي رمى به وكاد   خلا شتات الريش شتان وبذار
حــر قنص حـر بشـاره وصـاد   ليث على خيل المعادين كـرار
الى عثى بمشمـرات الـجـواد   يا عقاب مثلك لاحمر الدم نثار
تـرك صبـي مـا بشـاره يفـادي   والخوف ما طول قصيرات الاعمار

□ □ □

- ١٧ -

قصيدة حجرف الذويبي على قافية اللام بوصل الهاء

سمعتها كاملة برواية أبـي عمران:

يقول ابن عياد ومن بـات ليله	ما نيب مسكين همومه تشايله[١]
انـا ليا ضـاقت عليـه تفـرجت	يرزقني اللي ما تعدد فضايله[٢]
يرزقني رزاق الهوايش بجحرها	لا خايلت برق ولا هيب حايلة[٣]

وذكر ابن خميس هذا البيت:

ما دورت الاسعار في كل قرية	ولا وردت على قــراح ثمـايله
ورزق غيـري يامـلا ما ينـولني	ورزقي يجي ولا كل حي يحايله[٤]

(١) تشايله: تتدافع وتزدحم.

وسمعت من منديل: تكايله.. وان بات ليله.

(٢) سمعت من منديل: ما تنحصى.

(٣) الهوايش: البهائم. وفي الفصحى: الهوشات بضم الهاء: الجماعات من الناس والإبل، وسمعت من منديل: بجحورها.

حايلة: محتالة. وعند ابن خميس: رزاق الحيايا.. ولا هي بخايلة.

(٤) سمعت روايتها هكذا: (ترى رزق غيري)، فعدلته لأجل الوزن. وعند ابن خميس ومنديل: ترى رزق غيري.. لو كل حي. إلا أن الشطر الأخير مختل الوزن على هذه الرواية.

نشر ابن خميس منها ثلاثة أبيات في الشوارد ١٤٧/٣ ونشر منها الشيخ منديل تسعة أبيات في كتابه من آدابنا الشعبية ١٨٩/١ ـ ١٩٠ وتابعه الصقري في كتابه من نوادر الأشعار ص ٨٢ وص ١٦٦.

وجميع ما حشنا ندور بـه الثنا ... مـا راح عنا عـاظنا الله بـدايله
نوب نحوش الفود من ديرة العدا ... ونحذي اللي ذاهبات عدايله[٥]
كسب بالايدي ما دفعنا به الثمن ... الا الدمي بمطارد الخيل سايلة[٦]
من لابة فرسان ننطح به العدا ... كم طـامع جـانا غنمنـا زمـايله
نكسب بهم عز وننزل بهم خطر ... ولا هيب من قفر رعينا مسايله

وقصة القصيدة التي ذكرها منديل متواترة عند الرواة ويظهر لي أن القصة مستنتجة من القصيدة وليست باعثاً حقيقياً لها، لأن عادة الرواة استنتاج القصص من الأشعار ثم يصوغونها بعناصر خيالية.

□ □ □

(٥) عند منديل: ونخزر اللي.
(٦) سمعت الرواية: ثمنه الدمي. وعند منديل: خز بالأيدي.. ثمنها الدمي.

- ١٨ -

عينية ابن شعلان بوصل الهاء

قال عبدالعزيز بن عثمان بن شعلان وهو مقيم في الكويت يخاطب أخاه إبراهيم بالقصب من قرى الوشم(١):

يـا الله يا جـابر حقيـر ورافعـه ... يا عالم بالحال والصوت سامعه

تفـرج لمن كن المـلايـل تمله ... يا من له الرحمة على الكل واسعة

قال الذي في راس رجم بدا به ... يا ليتني ما اشرفت عالي مرامعه

قال الذي سده من الصدر بيح ... كن الضواري للفواد متمازعة(٢)

قال الذي لـو صد يـوم تذكـر ... تـذكر المـاضي وهلت مدامعـه

قال الذي ما قال قـول تعجب ... مـودة الخلان بـالجوف لاسعـة

قال الذي بـالجيل تـوه عليمي ... ما دك في باله لسانـه مطاوعـه

طاري طرى للقلب هيض فنونه ... واظن تتبعه الجوارح تفـازعه(٣)

يهيض منـه القيل يسعى لكنـه ... تهامية بالشرق والشمس طـالعة

بـاب الصدر مفتـاح قفله تبطل ... ابا امنعه وازريت ماني بمانعـة

يا عاذلي هون عن الشور واعذر ... لو قلت شورك لي فلاني بطايعه

هات القلم واحضر مع الحبر دفتر ... لا ديب في كتب الصحايف يشاجعه

---

(١) التحفة الرشيدية ٢/١٢٠ ـ ١٢٨ ولم أر أحداً ذكرها غير صاحب التحفة.

(٢) متمازعة: كل منها يمزع قطعة، والمزع بمعنى التقطيع والتمزيق ـ فصيحة.

(٣) تفازعه: تفزع له بمعنى تساعده. أصل الفزع في الفصحى بمعنى الخوف، ثم كني به عن خروج الناس سراعاً لرد العدو وخوفاً من مباغتته، ثم توسعت به العامة في عموم المساعدة.

ابدي عليك اسرار ما كان خافي — من قارب الاجواد حصل مطامعه

وخلاف ذا يا راكب هيزعية — ما زوعت من فوقها الغرب نازعة[٤]

ترعى بوسط الذود في كل روضة — لينه زمى زين الشحم فوق راجعة[٥]

ركابها ما سار بالليل خايف — تتليه فرسان على البعد ناقعة[٦]

طويلة العضدين بتر فخوذها — رفيعة الحجيان والنحر هازعة

كن الزغون اللي يتنهض نحرها — كمراة مصباح لسواريه ناسعة[٧]

الذيل راس العندل اللي تعمله — في مخمر الاطياب والسمن مارعه[٨]

---

(٤) هيزعية: ناقة سريعة الجري، وفي الفصحى: اهتزع اهتزاعاً بمعنى أسرع.

وقال ابن دريد: تهزعت الإبل في سيرها: اهتزت.

زوعت: انقادت مع من يزوعها.

وفي الفصحى: زاع البعير يزوعه: حركه بزمامه إلى قدام ليزيد في السير.

نازعة: ترفع الغرب ليصب إذا بلغت نهاية المنحاة.

(٥) لينه: إلى أن.. راجعة: عادت لها صحتها وسمنت. تقول العامة: أرجع الحلال، ويقولون عن نبات الولي والصيف: زمان الرجعان، ويقولون للربيع بعد سنين من الجدب: أرجعت الأرض وسنين الرجعان.

وفي الفصحى: أرجعت الإبل: إذا هزلت ثم سمنت.

(٦) ناقعة: ساطع غبارها وهو النقع.

(٧) أتوقع أن الصحة هكذا:

كن الزغون اليا تنهض نحرها.

والزغون: ما تحت الإبط وهو صفحة الزور.. ناسعة: بارزة.

والناسع عند العوام البارزة، وهو معنى صحيح على التشبيه فقد قال ابن فارس: والناسع العنق الطويل.

ومن خرج خفية تقول عنه العوام: نسع.

وفي الفصحى: نسع في الأرض إذا ذهب.

(٨) عندل: قال ابن الأعرابي: العندلة ضخمة الثديين.

قال أبو عبدالرحمن: والطول من معنى عندل.

إلا أن العامة تعارفوا على تسمية الفتاة الجميلة عندلاً.

مارعة: كأنها شعر مدهون مرجل.. ومرع شعره بمعنى رجله.

تطوي مسير اليوم مقدار ساعة فج المناحر والعضود متراجعة

خفوفها صفق المرو من وراها حالوب مزن عاصف الريح صايعه

من دار أبو جابر تيسر ضحاها والصبح باكر من ورا طريق فايعه[٩]

تلفي هل التوحيد في نجد كلهم اللي لهم بيض الكبابيس طايعة[١٠]

تنصى القصب لعل دربه سماح محلهم في ضامري في مفارعه

عساه يسقيه الحيا كل وسمي والصيف مايفخت روايح هوامعه[١١]

اليا ارزمت وامطر من الوسم بدري يكشف سنا ذي في علا ذي لوامعه

اليا اسكب حنينه كنه الذود لا ارزم ابكار تزرم بالحنين متتابعة

تلفي مظنة خاطري في مكانه خصه على غير الردى مع سبابعة

إبراهيم بن عثمان من آل مشعل خل المطية تدفع البيت دارعة[١٢]

راعي دلال كنها في وجارها سباري صفت على الحوض شارعة

---

(٩) فايعة: تفاجىء بطلوعها.

وهذا مأخوذ من فوعة النهار والشباب بمعنى أولها لأن مقدم القادم أول ما يرى منه، وإما من فوعة الطيب بمعنى رائحته، لأن قادماً نبههم برائحته فتوسعوا وجعلوا كل قدوم فوعة، وإما لأن أول كل شيء بداية تجدده، وكل تجدد تسميه العامة فوعة.

(١٠) كبابيس: جمع كبوس وهو ما يلبسه الإفرنج على رؤوسهم (برنيطة).

(١١) ما يفخت: لا يند ولا يتخلف بل يصيب المراد.

ومن معاني الفخت في الفصحى الثقب.

ووجه المجاز أن سبب الإنسان كأنه سقط من ثقب إذ لم يصب المراد.

(١٢) دارعة: لا شيء يردها.

والأصل في درع قص القفل ثم توسعوا به في كسر الحجز واستباحة الحمى فقال الفصحاء:

روضة مدرعة: أي أكل ما حولها.

وقول العامة (ثور أدرع) إما تعميم للأدرع وهو سواد الرأس وبياض سائر الجسم، وإما بمعنى أنه يكسر الحجز وهذا هو الأرجح.

يبرى لها الغوري على كل شبة   والتمر منقوله اليا كف قادعه[١٣]

والنجر يزهم للمسير عويله   برومية ترفع له الصوت قارعة

وان قلط المحماس يشكي مليله   في دار جاله للمسايير واسعة

هذي بوسط النجر وهذي تلقم   وهذي تصب وذيك مركاة رابعة

وختام ها المجلس من العود جزلة   دخانها يقعد صغا راس ناشعة[١٤]

ما صك بابه والليالي عسيرة   يوم ان ولد اللاش يظهر لعاعه[١٥]

ما حوشت يمناه ما تاجرت به   يرميه لوجيه الأكارم موادعه

حر اليا جاب العشا في مخالبه   يغشاه من خمر النشامى مصارعه[١٦]

---

(١٣) الغوري: الإبريق يصنع فيه الشاي.

وهي فارسية وتنطق (قوري) انظر المعجم الذهبي ص ٤٢٠.

منقوله: الشاي عوض عن التمر إذا كف الأكل ينقل مهمته.

قادعه: آكله.. والقدوع التمر، وأكل التمر خاصة يسمى قدعاً هذا عند العامة، وفي الفصحى بمعنى المنع. قال صلى الله عليه وسلم: اقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة.

فلعل وجه المجاز أن أكل التمر يمنع من الجوع إذا لم يوجد غير الأسودين.

(١٤) صغا: ميل كناية عن آلام الرأس التي يتولد عنها العبوس وضيق الصدر والقلق. والإصغاء بمعنى الاستمتاع مأخوذ من ميل الرجل بأذنه.

ناشعة: بحاجة إلى نشوع وهو أن يوجره الدواء كناية عن الألم.

ها المجلس: هذا المجلس.

(١٥) لعاعه: اللعاع القليل التافه. فصيحة بالمجاز فاللعاع في الفصحى نبت ناعم وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بأنها لعاعة، لأنها كالنبات الأخضر قليل البقاء. ولعاعة الإناء ما بقي فيه وهو قليل.

(١٦) جاب العشا: ربما التمس بعضهم المعنى من مادة (جاب).

قال أبو عبدالرحمن: الصواب ان الأصل: جاء بالعشاء، ولكن العامة اعتادت على ربط باء الالصاق بالفعل وفصلها عن معمولها.

كما اعتادوا ربطها بما قبلها وفصلها عن معمولها كما في قولهم: ما هوب صحيح: أي ما هو بصحيح،

ويقولون: مهوب هو: أي ما هو بهو.

افهم وصاتي لك من الراس قل له — جزل السلام وسمع اللي يرابعه[١٧]

قل له سلامي عد رمل الزباير — أو عد ما تذري الهوا من ذعاذعه

سلام أحلى من حليب مشير — واخن من العنبر على أول مناوعه[١٨]

ان سايلك عني بحال تسره — الحال عدلة والأمور متراجعة[١٩]

عشنا بخير وعن قريب نزوره — لا يستهم وخيرة الرجل ناجعة[٢٠]

لا عاد مالي بالبحر ضمن عيلة — ولا غروس بالنضيد متهانعة[٢١]

ولا عرض للرجل قيد يشده — ولا علي من الموانيع مانعة

وأنوي المظهار بأول جمادى — في شاية الله ماشيات شرايعه

خط لفاني يشرح الصدر شوفه — لكن كتابه من قبالي وأطالعه

عرفت مضمونه على أول حروفه — ملح اللسان اليا تلفظ نزايعه

يا مرحبا عد ماناض بارق — وعد ماهلت سحايب هوامعه

يوم علينا مثل عيد رمضان — والا بشمس غب الأمطار طالعة

هيض غرامي واتبع القول حنة — حنة خلوج فاتت الذود ضايعة

ذكر غريب داله عن دياره — بين الرجا والياس ضيع روابعه[٢٢]

---

(١٧) يرابعه: يجلس معه في مرتبعه، أو يتبادل معه الرأي لأن العامة تسمي الأفكار روابع.

(١٨) مشير: محلى بالسكر. وهي فارسية.

انظر المعجم الذهبي ص ٣٨٦ ومعجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات ص ٣٣٨.

(١٩) مترابعة: متفقة معتدلة.

(٢٠) لا يستهم: لا يحمل هما. ناجعة: منتجعة أراد الرجوع إلى بلده.

(٢١) متهانعة: متطامنة: وهنع وكنع بمعنى طأطأ. المعنى فصيح.

(٢٢) داله: سالي. وفي الفصيح: ذهاب الفؤاد من هم ونحوه وذهاب العقل أو سهوه من عشق ونحوه.

قال أبو عبدالرحمن: سلو العاشق سهو عن دواعي العشق.

فهذا وجه إطلاق الدلوه على السلو والضنى معاً وهما ضدان.

طال الفراق وطال فرقا ربوعي والقلب فيها جمرة النار والعة

والعين ياما صابها في نظيرها كن المداوي بأزرق التوت لاذعة

نهل دمع الخد حذفه اغضي عن الحساد وامحش لوامعه

لو من تمنى قبل حوش التجارة كان اتمنى مير ما هي بنافعة

القول ما ينفع ولو طال عذري اترك كثير الهرج واترك متابعه[٢٣]

حظي ردي في جميع المعاني الجود يبدي لي وعييت اطاوعه

العاذل اللي يقبل العذر مني ياكود ما يقطع هوى جم أصابعه

من هان نفسه فاز واستر وافلح يحظى بعلم غالي في مبايعه

الطبع عضو لو بغيت تبدله عيا علي وقلت ماني بقاطعه

وهني من عقله ثقيل المراز وهني من لا داس بالعمر داسعة[٢٤]

وهني من عمره طويل ولا اذنب وهني من نفسه على الحق قانعة

وهني من قلبه من الهم خالي وهني خدش ما يميز مساطعه[٢٥]

وهني عمال يسوق السواني وهمه محاحيل على البير ساجعة

وهني من لا ذاق بالعمر حاجة وهني من هو ما تعدى مرابعه

وهني من بالبيت قد حج واحرم وهني من نفسه من القيل وانعه[٢٦]

---

(٢٣) متابعة: ما يتبعه الانتقاد، أو عوار الكلام الذي يتبع فضوله.

(٢٤) ثقيل المراز: إذا جرب وجد راجح العقل رزينا.

والروز في الفصحى بمعنى التجربة.

ومن ذلك رفع الشيء لتقدير وزنه، فهذه تجربة.

داسعة: فعلة رديئة. لها مجاز قريب من الفصحى.

(٢٥) خدش: كبير الجسم قليل العقل أو ضعيف الطموح لا يعتريه هم.

ولعل وجه المجاز: أن من هذه صفته لا يصلح إلا للمخادشة وهي الخمش بالأظافر.

(٢٦) وانعة: مقلة من الكلام.

قال ابن دريد: الونع محركة لغة يمانية يشار بها إلى الشيء اليسير.

واحب يوم بالـوطن في كسافـة | ولا حذافير الذهب في مشارعه
واحب قربـي عند الأجواد ساعة | ولا ثمان سنين عند الملاطعة(٢٧)
واحب يـوم العيد ينسـاح بالي | يغشى السلام وفرحتي في توابعه
واحب يـوم مـا تكـدر جنـابـي | ولا رأت عيني من الناس كالعه(٢٨)
واحب يـوم مقلط لي كـرامــة | واحب يوم السيل والزرع زارعه
واحب يـوم حـايش لي غنيمـة | واحب يـوم ما وطتني مبـاشعـه
واحب يــوم مـا تكلم لســاني | واحب يوم فات والنفس وارعة
واحب يـوم به تـزيـد حسنـاتي | وتطيح سيات على الظهر خالعة
واحب يـوم فـات مني عـطيـة | على ضعيف دعـوة منـه رافعـة
واحب فصل الحق لو هو عليه | في مجلس كثرت شكاوي بعابعه
واحب شيـخ عـادل بـالـرعيــة | مثل أبو تركي كل عز يسانعه(٢٩)
واحب يــوم والصـديق بمعــزة | مستـأنس بالعـز حـالـه مـرايعـه
واحب يـوم والعـدا في مـذلـة | وأشوف سيف مع ثناديه خارعه
وإلا عـدو الـدين جعله يـدمـر | عسـاه يذهب فـانيات صنـايعـه
ليت الأجل يرجع على زود مكسب | وليت الكبر ينسى ويخلف مهالعه
ليت الفقر عني ورا سدير يرحل | وليت الغنى في لبة القلب ناشعة
ليت الليالي الماضية ما تعدت | وليت الليالي الحاضرات متواضعة
ليت الذي حدر الثرى ما جفوني | ليت الذي فوق الثرى في طوالعه

---

(٢٧) الملاطعة: كناية عن طول اللسان وكثرة الكلام.
واللطع في الفصحى بمعنى اللحس.
(٢٨) كالعة: كالحة وإنما اضطرته القافية.
وللكلع معان في الفصيح ولكنني لا أعرف العامة استعملت هذه المادة.
(٢٩) يسانعه: يتهيأ له. وانظر مقدمتي لديوان ابن صقيه ٢/٣٧.

ابيحهم واحتاج منهم الباحة   واللي على مضمون بالي أراجعه

الوالد اللي مات ما غاظ بالي   يروف بي والموت نزعه ينازعه

يا ليت هو حي وأنا أوفي ديونه   ويا ليت من هو باليماني يبايعه

شخص غدا ما حاصل لي بداله   ودعته اللي ما يضيع ودايعه

ودعته اللي يعلم الحال مني   لعل رحمة عامر الكون جامعه

مراحل ترحل والأجيال تدني   والقلب في عمياه والموت فاجعه

دنيا تربى الصعب يا كثير شرها   والا حمول العالمين متوازعة

أحد عليه الشيل خطر يضره   صيور صلبات العظام متفاقعة

كل يجازى بالوفا من عماله   وأظن ما نفس لنفس بشافعة

يا ويل من فاته شبابه بجهله   لو تحته الأنهار تجري منابعه

يا سامع مني ردود النصايح   لعلها للكل والكل باضعة[٣٠]

الأولة من جور بقعا تحذر   اخشع لمن له هل الإسلام خاشعة

ابذر ما دام البذر ما فات حله   من فوته وقته تفوته نوابعه

لا صار كل قام يقطف ثماره   عليه هم الغم حزنه يصاوعه

صل الفرايض كلها في حلولها   منك السوال ورحمة الله واسعة

مد اليدين يجوف ليل خلاوي   في جنح ليل وجملة الناس هاجعة

من وقف عند الباب وأعلى بصوته   صيور راعي الباب عجل مسارعه

منك الدعا والله سريع الاجابة   واللي كتب باللوح ما انته بمانعة

من خير ومن شر على الله تشتكي   شكوى النبي ذا النون والحوت بالعه

---

(٣٠) باضعة: بالغة ذات أثر.

يقال: ما يبضع فيه العلم. أي لا يؤثر فيه القول والنصيحة.

ولعل ذلك مأخوذ من المبضع لأنه يلتمس به أثر العافية.

والموت لا بده ولو طال عمرك لا بد من يوم تمرمر مجارعه[٣١]

ما باقي شيخ على شان علمه ولا حاكم كل القبايل تفازعه

ولا تاجر يفدي عن الحال بماله ولا هبيل غافل عن زعازعه

لو كان دفع المال للحال يفدي كان النبي يفدى بكل المطاوعة

الزرع لي سنبل يقرب حصاده يابس ولو قطر المطر ما يقاطعه

الثانية احذر من الهرج كله الا بذكر الله وما قال تابعه

واحذرك مدح الوجه والسب تالي من خادع المسلم ترى الله يخادعه

واحذر عن الغافل ولو باح سده اما شنعه الله ما انته بشانعه

وان حل طاري مبتلى لا تلومه يبلاك مثله يوم يشكي مواجعه

لا تبحث الغرات من غير موجب تجرح عليل باريات مواجعه

خل الجحور الدارسة للذواري أو عرضه من ناعم الرمل كاسعة[٣٢]

اصفح عن الغافل تشوف الجمالة ولا تلقي الطامعين المناضعة[٣٣]

من جت له الدنيا على ما يريدها أصبح رخي البال تخشى وقايعه

يبني قصور الحرب لو هو فدامة واليا سمع للحرب رزرز مسامعه

واليا تعدت عنه تقصر خطاها كنه يحبس الروم والشر دارعه

عض الأنامل بالنواجد حسوفة يا فجعة فجعت على الثدي راضعة

فجعة غرير مذهب له ذهيبة لو نام حلو النوم عيا بجامعه

من ذاق لوعات الفقر ما نساها ما تنمحي من لب قلبه لوايعه

لو يغتني تلقى الفقر في فواده لا يذهل المصفوع من كان صافعه

---

(٣١) تمرمر مجارعه: تتجرع مره.

(٣٢) كاسعة: الكسع رمي التراب في الوجه.

لها مجاز قريب من الفصحى، ومن معاني الكسع في الفصحى: القفد.

(٣٣) المناضعة: لا أعلم لها معنى لا في الفصيح ولا في العامية.

والثالثة صر للصديق متواضع ... ترى التكبر كالشجر في مشالعه[٣٤]

ولا تعرض للسفينة بجهالة ... تخسر جزاك وخاسر من يفازعه

وان جذ حبلك لا تسوي سواته ... أوصيك عن ممشاه واحذر ترابعه

اليا بذر لك شر فابذر بخيرك ... كل يحصل ما بذر من مزارعه

وان مد حبله طالب منك حاجة ... عزه ولو عيلتك بالبيت جايعة

غم الحساد وفي عدوك تهينه ... تصبح ظنونه باسفل الشط جازعة

من قدم الجودى قطف من ثمارها ... لو تعب بالأول تثمر توابعه

أقول ذا وأنا عن الجود عاجز ... وأسمع من اللي بالحمول مترابعة

وأسمع من اللي ينطحون المواجب ... والا الحتوف حتوف ما هي بنافعة

بين الأكارم والأراذل مسافة ... مثل الجدي وسهيل مبعد مطالعه

والرابعة خذ للعدو حد هندي ... وان كان تقدر تضربه فوق سابعه

ترى عدوك لو ضحك لك بسنه ... والقلب فيه الضيق بأجمع رواضعه

من داس رجلك فوت دوس راسه ... خل الحزام موثق في نعانعه[٣٦]

ان حذفوك عداك بأكبر حصاهم ... عليك بالجلمود وسط مفالعه

وان ضربوك عداك بأضعف جريدة ... نزل عليهم كندل من مشالعه[٣٧]

واليا رموك عداك بكيال موزر ... قم وارمهم بمقبس من مدافعه

ان حفروا عداك خطو الهيبة ... احفر لهم بير طويل مباوعه

---

(٣٤) مشالعه مكان اجتثاثه. . وعند العامة شلع السن خلعه، لعلهم أخذوا ذلك من الشكع وهو الوجع فسرت العامية إلى اللفظ والمعنى.

(٣٥) سابعه: الأبهر.

(٣٦) الشطر الأول مختل الوزن ولعل فيه تصحيفاً.

النعانع لها معاني في الفصيح من مادة نع ولست أدري ما المقصود هنا، وطول القافية يضطر الشاعر إلى اختراع الألفاظ.

(٣٧) كندل: نبات الكندلي (الشورة).

واليا كويت الكي نجح عروقه تسكن عقب ما هي بالأوجاع رامعه

من قلط الدنيا على كل عايل أصبح بعز فوق الأنذال رافعه

ترى القضا يبرد لهيب الغلايل توفي ضديدك جمرة في مضاجعه

خله يروح بخاطره كل طاري أكرم على السامع غدر به مطاقعة

من جا حوال النار طاله سناها يضفي عليه لسانها ما تطاوعه

والخامسة احرص على طلب رزقك تذوق عقب الكرة لذة مجامعه

من تعب ربح وتاعب السو خاسر ما خاب من يتعب مفاصل مذارعه

والرزق لو يأتي بحيل وقوة كان السباع شباع والضان جايعة

أما تصيب الرزق ما جاك عاني لو كان عندك زاهبات مواقعة

من ضيعه والرزق ياتيه راغم لو هو نهاية صار حظ الطمامعة

والرزق يحتاج السبب لو تعطل ولا تقول السيل ينسى مناقعه

الطير يطوي بالوكر كل ليلة والصبح يلقى الرزق عجل يسارعه

المال ثوب العز في كل ساعة فصح شجاع وافي العقل جامعه

والمال تاج وكثرة الصمت حكمة والباقية يا ناس توفي ورايعه

يرفع عيال البوم في رأس عيطا من عقب ما هي بالخراب متواضعة

والسبع وإن مر الكلاب النوابح لو بلبصت له عوج الأذناب تابعة

تمت وصلى الله على سيد الملا على نبي واضحات شرايعه

□ □ □

- ١٩ -

قصيدة ابن قويفل على قافيتي الدال بوصل الهاء وقافية الفاء

وقال ابن قويفل في آل شعلان[١]:

يا مزنة غرا تقافى رعدها	تمطر على دار الدريعي ونايف
خله على الوديان تذهب ولدها	بديار مكدين الأمهار العسايف
تملا الخباري للدريعي يردها	بقطعان عجلات على الما، زهايف
يا ذيب يا شاك من الجوع عدها	كان أنت لرماح الشعالين ضايف
تلقى العشا صفرا صخيف جسدها	من كف ستر معطرات العطايف
وكم سابق بالكف عاقوا جهدها	مضرابها بالجوف ما هو مسايف
من كف شغموم ورد من هددها	أو شايب شيبه من الخيل هايف
كم قالة قفوا بها ما بعدها	راح يتولاها الدريعي ونايف
حالوا وراها ودونها هم لددها	وقد عوضوا طلابها بالحسايف
تنشبت ما أحد يحلل عقدها	ومن دونها يروون بيض الرهايف

□ □ □

(١) أبطال من الصحراء ١/٢٤١ ـ ٢٤٣ وقد مر له قصيدتان.

ـ ٧ ـ

ثبت بأسماء المصادر

[مرتب على حروف المعجم بالإضافة إلى الرواية الشفوية]

١ ــ الأدب الشعبي في جزيرة العرب.
لعبدالله بن محمد بن خميس.
ط م الرياض عام ١٣٧٨هـ.

٢ ــ الأزهار النادية من أشعار البادية
نشر محمد سعيد كمال.

٣ ــ أبطال من الصحراء.
لمحمد الأحمد السديري.
ط م دار الكتب ببيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.

٤ ــ الأمثال العامية في نجد.
لمحمد بن ناصر العبودي.
ط م الأهلية للأوفست ــ نشر دار اليمامة.

٥ ــ أنوار الربيع في أنواع البديع.
لعلي بن صدر الدين بن معصوم.
ط م النعمان بالنجف عام ١٣٨٩هـ.

٦ ــ البادية.
لعبدالجبار الراوي.
الطبعة الثالثة.

٧ ــ بلاد الجوف.
لسعد بن عبدالله بن جنيدل.
ط م الأهلية للأوفست ــ نشر دار اليمامة.

٨ ــ بلاد القصيم.
لمحمد بن ناصر العبودي.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٩هـ.

٩ ـ تاج العروس من جواهر القاموس.
لمحمد مرتضى الزبيدي.
تصوير مكتبة الحياة ببيروت.

١٠ ـ التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية.
لسعود بن سند بن سيحان.
ط م الرسالة بالكويت.

١١ ـ تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء.
لعبدالعزيز بن محمد الأحيدب.
الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ.

١٢ ـ تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان.
لإبراهيم بن عبيد العبدالمحسن.
ط م مؤسسة النور.

١٣ ـ التقريب لحد المنطق والمدخل إليه لأبي محمد بن حزم.
تحقيق د. إحسان عباس ـ ط دار العباد.

١٤ ـ جريدة الجزيرة السعودية.

١٥ ـ الحويطات.
لعدنان عطار.
لم تذكر هوية الطبعة.

١٦ ـ ديوان ابن صقيه التميمي ج ٢.
[مقدمتي له].
صدر عن جمعية الثقافة والفنون السعودية.

١٧ ـ رحلات في بلاد العرب ـ في شمال الحجاز والأردن.
لعاتق بن غيث البلادي.
نشر دار المجمع العلمي بجدة.

١٨ ـ رحلة إلى بلاد نجد.
لليدي آن بلنت ـ ترجمة محمد أنعم غالب
نشر دار اليمامة الأولى عام ١٣٨٦هـ.

١٩ ـ روائع من الشعر النبطي.
لعبدالله اللويحان.
ط م المدني.

٢٠ ـ شاعرات من البادية.
لعبدالله بن محمد بن رداس.
ط دار اليمامة.

٢١ ـ الشعر عند البدو.
للدكتور شفيق الكمالي.
ط م الإرشاد ـ بغداد.

٢٢ ـ الشعر في البلاد السعودية.
لأبي عبدالرحمن بن عقيل.
ط م الإشعاع ـ نشر دار الأصالة.

٢٣ ـ الشوارد.
لعبدالله بن خميس ج ٣.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٧هـ.

٢٤ ـ عالية نجد.
لسعد بن عبدالله بن جنيدل.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٩هـ.

٢٥ ـ عشائر العراق.
للمحامي عباس العزاوي.
ط م بغداد سنة ١٣٦٥هـ.

٢٦ ـ الفنون الشعبية في الجزيرة العربية.
لمحمد الثميري رواية محمد الضويحي.
ط م العمومة بدمشق سنة ١٣٩٢هـ.

٢٧ ـ في شمال غرب الجزيرة.
لحمد الجاسر.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٠هـ.

٢٨ ـ قاموس العادات. اللهجات والأوابد الأردنية.
لروكس بن زائد العزيزي.
ط م القوات المسلحة الأردنية سنة ١٩٧٣م.

٢٩ ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين.
لمصطفى مراد الدباغ.
ط دار الطليعة ببيروت عام ١٣٩٩هـ.

٣٠ ـ كراسات الشيخ منديل الخطية.

٣١ ـ الكنايات العامة.
لأحمد تيمور.
ط م الأهرام ـ الطبعة الثالثة.

٣٢ ـ الكناية والتعريض.
لأبي منصور عبدالملك الثعالبي.
نشر مكتبة دار البيان ببغداد ودار صعب ببيروت.

٣٣ ـ كنز الأنساب ومجمع الآداب.
لحمد بن إبراهيم الحقيل.
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٣هـ.

٣٤ ـ كنز من الماضي.
لشاهر محسن الأصقه.
ط م مساعد السارك ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٣٥ ـ اللغة العربية بين القاعدة والمثال.
لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.
ط م الفرزدق سنة ١٤٠١هـ.

٣٦ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز.
لعبدالله بن خميس.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٠هـ.

٣٧ ـ المجتمع البدوي الأردني.
للدكتور أحمد الخشاب.
ط جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان سنة ١٩٧٤م.

٣٨ ـ مجلة التراث الشعبي العراقية.

٣٩ ـ مجلة العرب.

٤٠ ـ مجلة الفن الكويتية.

٤١ ـ مجلة لغة العرب العراقية.

٤٢ ـ معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة.
لفالح حنظل.
ط مؤسسة دار الفكر ـ أبو ظبي.

٤٣ ـ المعجم الذهبي.
للدكتور محمد التونجي.
ط دار العلم للملايين.

٤٤ ـ معجم قبائل الحجاز.
لعاتق بن غيث البلادي.
نشر دار مكة عام ١٣٩٩هـ.

٤٥ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.
لعمر رضا كحالة.
ط مؤسسة الرسالة ببيروت.

٤٦ ـ معجم قبائل المملكة.
لحمد الجاسر.
صدر عن النادي الأدبي بالرياض.

٤٧ ـ مقاييس اللغة.
لأبي الحسين أحمد بن فارس.
الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦هـ ـ ط م الحلبي
تحقيق عبدالسلام محمد هارون.

٤٨ ـ معجم اليمامة.
لعبدالله بن محمد بن خميس.
ط م الفرزدق عام ١٣٩٨هـ.

٤٩ ـ من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية.
لمنديل بن محمد الفهيد.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٨هـ.
والجزء الثاني ط م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠٢هـ.

٥٠ ـ من أحاديث السمر.
لعبدالله بن خميس.
ط م شركة حنيفة للأوفست.

٥١ ـ المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب.
لعبدالرحمن بن حمد بن زيد المغيري.
ط م الإسلامي للطباعة عام ١٣٨٤هـ.

٥٢ ـ نسب حرب.
لعاتق بن غيث البلادي.
ط دار المعارف عام ١٣٩٧هـ.

□ □ □